موقف الاستشراق المعاصر من نبوة محمد ﷺ

دكتور/ عبد العزيز بن إبراهيم العسكر*

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(1).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (2)﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(3)، (4).

وبعد،،

فتحتل الدراسات الاستشراقية مكانة ملحوظة في الفكر المعاصر لما لها من أهمية كبرى في تحديد العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، رغم ما في الاستشراق من أغاليط كبرى يعرفها المتابعون لحركة الاستشراق، ولاشك أن من أهم الموضوعات التي تناولها المستشرقون في كل عصور الاستشراق نبوة محمد ﷺ. وقد أولى الاستشراق المعاصر أهمية كبرى لها أيضاً.

ولذا فقد رأيت أنه من الضروري بمكان معرفة موقف الاستشراق المعاصر من نبوة محمد ﷺ، وفحص موقف المستشرقين؛ لمعرفة ما فيه من صواب وما فيه من خطأ، والوقوف على أهداف الاستشراق من دراسته للسيرة النبوية، سواء في الماضي أو في الحاضر. وكيف أن هذه الأهداف يغلب عليها الهوى في معظمها.

---

* الأستاذ المشارك ــ قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ــ كلية أصول الدين ــ الرياض ــ السعودية.

وكـــان من الضروري معرفة نشأة الدراسات الاستشراقية عن نبوة محمد صلى الله عليه وســـلم وتطورهـــا، فالاستشراق المعاصر مرتبط بالاستشراق في العصور السابقة، ومترتب عليه بالضرورة. ورغم أن كثيراً من الدراسات قامت بتعريف الاستشراق، فلا يزال هذا المصطلح محل التبـاس وخـــلاف بين الباحثين سواء من حيث تعريفه أو من حيث تاريخ نشأته. ولذا رأيت من الضـــروري الوقـــوف عـــند هذا المصطلح لاسيما وأن تعريف الاستشراق لـــه علاقة بموقفه من الإســـلام بعامة وصحة نبوة محمدﷺ بخاصة. كما أن إعادة تعريف الاستشراق لـــه علاقة مباشرة بتحديد طبيعة المنهج الاستشراقي، فضلاً عن تحديد آثاره.

ولـــذا فـــإن أهمـــية هـــذا الموضوع واضحة، وتتجلى أمامنا من أول نظرة، لاسيما أن الاستشـــراق له تـــأثيره الكبير على نظرة الغرب إلى تاريخ النبي محمد ﷺ ووجهات نظر مواطنيه وصناع القرار فيه، ولهذا دور كبير في تكوين موقف الغرب من الإسلام.

وقد قسمت خطة البحث إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة، أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية موضوع "موقف الاستشراق المعاصر من نبوة محمد ﷺ، والسبب الذي حملني على اختياره، ومنهجي في البحث، والخطة.

أمـــا المبحث الأول: فيدور على تعريف الاستشراق ومنهجه من خلال مطلبين: المطلب الأول أعـــيد فـــيه دراســـة تعريف الاستشراق، وبيان اختلاف الباحثين القدماء والمحدثين حوله، والمطلب الثاني أتناول فيه النهج الاستشراقي.

أمـــا البحـــث الـــثاني:فقد خصصته لبيان موقف الاستشراق من صحة نبوة محمد ﷺ، وتناولت في المطلب الأول منه تطور الدراسات الاستشراقية عن نبوة محمد ﷺ في سياق تطور تلك الدراســـات بعامة، في حين تناولت في المطلب الثاني موقف الاستشراق المعاصر على وجه التحديد من صحة نبوة محمد ﷺ.

وفي المبحـــث الثالث : تعرضت لكشف أهداف الاستشراق من تزييف صورة النبيﷺ وبيان أزمته من خلال مطلبين: المطلب الأول تناولت فيه أهداف الاستشراق من تقديم صورة غير حقيقـــية للنبي ﷺ. أما المطلب الثاني فقد تتبعت أزمة البحوث الاستشراقية عن النبوة من خلال رؤية نقدية.

أمـا الخاتمـة فقد تم تخصيصها لبيان أهم الآثار المترتبة على موقف الاستشراق من النبي صلى الله عليه وسلم، وما هو الواجب علينا في ذلك؟.

وقد استخدمت في هذا البحث ثلاث مناهج: المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، والمنهج المقـارن، فهـذه المناهج هي الأقرب لطبيعة الموضوع، وهي الكفيلة بالوصول لعرض موضوعي وعلمي لمثل هذه القضية الشائكة.

ولا أدعـي بهـذا الجهد المتواضع أني قد استكملت الموضوع من جميع جوانبه؛ لأن هذا الموضـوع بطبيعـته واتساعه بحاجة لعدة رسائل أكاديمية كبرى توفيه حقه، ولكن حسبي أنني قد أسهمت في فتح الطريق أمام هذا الموضوع المهم، ولم ادخر في سبيل ذلك وسعاً. فإن أصبت فمن الله تعـالى وحـده وإن أخطأت فأنا الوحيد المسئول عن هذا الخطأ. والله تعالى هو الكريم الموفق والهادي إلى صراطه المستقيم، إنه نعم المولى ونعم النصير.

ولا يفوتني أن أتوجه بخالص شكري وعظيم تقديري إلى كل من قدم لي المساعدة في سبيل أن يخرج هذا البحث على الوجه الأفضل إن شاء الله، سائلاً المولى عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء، وصل الله علي نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

تعريف الاستشراق ومنهجه

المطلب الأول: تعريف الاستشراق

ظهـر الاستشراق في الغرب للحاجة الماسة لوجود متخصصين للقيام على إنشاء المجلات والجمعـيات والأقسـام العلمية لإيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق، ومن هنا فالاستشـراق تعـبير يطلق على ميدان غربي يقوم بإجراء الدراسات المختلفة عن الشرق عموماً ويبحـث في شـئون الشـرقيين ودياناتهم، وتقاليدهم، ولغاتهم، وثقافتهم، وتاريخهم، وعاداتهم، وحياتهم، وحضاراتهم، وآدابهم، وفنونهم. ومن ثم فهو يدل على الاتجاه نحو الشرق[٥].

وقدم إدوارد سعيد في كتابه "الاستشراق" عدة تحديات للاستشراق منها أنه: أسلوب في الـتفكير مـبني عـلى تميّز متعلق بوجود المعرفة بين الشرق (معظم الوقت)، وبين الغرب، ومنها الاستشراق ليس مجرد موضوع سياسي أو حقل بحثي ينعكس سلباً باختلاف الثقافات والدراسات أو المؤسسات وليس تكديساً لمجموعة كبيرة من النصوص حول المشرق.. إنه بالتالي توزيع للوعي

الجغـرافي إلى نصـوص جماليـة وعلميـة واقتصادية واجتماعية وفي فقه اللغة. كما يعرف سعيد الاستشراق بأنه المجال المعرفي أو العلم الذي يُتوصل به إلى الشرق بصورة منظمة كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق. ويرى أنّ الاستشراق: نوع من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة حكم الغرب للشرق(٦).

ويحيل إدوارد سعيد مصطلح الاستشراق إلى ثلاثة مستويات هي:

١- الاستشراق يعني عدداً من الأشياء هي جميعاً في رأيه متبادلة الاعتماد.. أن الدلالة الأكثر تقبلاً للاستشراق دلالة جامعية أكاديمية.. فكل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه أو البحـث في جوانبه المحددة والعامة على حد سواء هو مستشرق وما يقوم هو أو هي بفعله استشراق.

٢- الاستشـراق أسلوب من الفكر قائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق وفي معظم الأحيان الغرب.

٣- الاستشراق يمكن أن يناقش ويحلل بوصفه المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق، التعامل معـه بإصدار تقريرات حوله وإجازة الآراء فيه وإقرارها وبوصفه وتدريسه والاستقرار فيه وحكمه(٧).

إن الاستشـراق كان ومازال يهتم بالشعوب الشرقية عموماً التي تضم أيضاً بجوار المسلمين، الهند، وجنوب شرق آسيا، والصين، واليابان، وكوريا. وعند مراجعة النشاطات الاستشراقية نجد أن هذه المناطق نالت اهتماماً كبيراً في الدراسات الاستشراقية. ولكنها عندما بدأت دراسة المناطق أو الدراسات الإقليمية أصبحت تخص بدراسات خاصة بها مثل الدراسات الصينية، أو الدراسات الهندية، أو الدراسات اليابانية. أما الأصل فكانت كلها تضم تحت مصطلح واحد هو الاستشراق لأن مفهوم الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي(٨).

وهذا الاصطلاح مشتق في اللغة العربية من كلمة "شرق" -كما يقول مطبقاني(٩)- أما الثلاثة حروف الأولى "الألف والسين والتاء"، فمعناها طلب، ومن ثم فالاصطلاح كله يعني لغوياً "طلب الشرق"، أي طلب معرفة ثقافة الشرق، وآدابه، ولغاته، وأديانه، وعلومه. أما في اللغات الأوربية فـنجد مثلاً في اللاتينية تعني كلمة **Orient** يدرس أو يتعلم أو يبحث عن شئ ما، وفي الألمانية تعني كلمة **Orient** شرق، وكلمـة **Orientalistik** علم اللغات الشرقية، كما تعني

الاستشراق، أما كلمة **Orientiernsich** فتعني يجمع معارف عن شئ ما[10]. وبالفرنسية تعني كلمة **Orienter** أرشد أو وجَّه أو هدى أو عرض القلوع للريح أو واجه الشرق، أو اهتدى أو تعـرف جهـة الشـرق [11]، وبالإنجليزية **Orientation** تعني "توجيه أو تكييف" كما تعني **Orientate** "يوجه"[12]. فهي تدل على توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الفكر، أو الاجتماع، أو الأدب، ونحو اهتمامات شخصية في المجال العلمي أو الفكري، ومن ذلك أن السنة الأولى في بعـض الجامعـات تسمّى السنة الإعدادية **Orientation**. وبصفة عامة أن كلمة **ORIENT** تدل على الشرق، وكلمة الشرق لها معنيان، فقد تدل على الشرق الجغرافي، وقد تدل على الشرق بمعنى المشرق والشروق والنور والهداية. وهذا ما يظهر في تعريف المعاجم الغربية (الإنجليـزية، والألمانـية، والفرنسـية) التي تشير إلى أن كلمة استشراق لا ترتبط فقط بالمشرق الجغـرافي، وإنمـا تعـني أيضاً مشرق الشمس. ولهذا دلالة معنوية بمعنى الشروق والضياء والنور والهداية بعكس الغروب بمعنى الأفوال والانتهاء.

ويشار إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية في الألمانية بكلمة تتميز بطابع معنوي وهـو **Morgenland** وتعـني بـلاد الفجر أو الصباح[13]. ومعروف أن الفجر تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الفجر الذي يتضمن معنى النور واليقظة. وتشير كلمة الاستشراق إلى اشتقاقها من "الشرق"، والتي تدل على جملة المعارف والعلوم والفنون التي أمكن الحصول عليها عن الشعوب الشرقية ولغاتها وعاداتها وثقافاتهـا عـن طريق البحث والترجمة.. ومن ثم فكلمة المستشرق تدل على من تبحَّر في أديان الشرق، ولغاته، وآدابه.. إلخ.

إن مصـطلح الاستشـراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوت بسيط بالنسبة للمعاجم الأوربية المختلفة، لكن الأمر المتيقن أن البحث في لغات الشرق وأديانه وبخاصة الإسلام قد ظهر قبل ذلك بكثير. وهناك اختلاف متى ظهر هذا المصطلح، فيرى بعض الباحثين أنه قد ظهر في اللغة الإنكليزية للمرة الأولى في سنة ١٧٧٩م. ولكن يرى "مكسيم رودنسون" **Maxime Rodinson** أن مصطلح الاستشراق ظهر في اللغة الإنجليزية عام ١٨٣٨م. وفي الفرنسية ظهر –كما يقول المستشرق الفرنسي "رودنسون" أيضاً– في سنة ١٧٩٩م. ولم تقره الأكاديمية الفرنسية في قاموسها إلا في عام ١٨٣٧م. ولا يعني ظهور مصطلح الاستشراق في تلك السنوات أنه لم يكن

موجوداً قبلها، بل إنه مرتبط تاريخياً بظهور الاهتمام بدراسة نبوة محمد ﷺ، وهذا ما سوف نتناوله في مبحث قادم.

لكـــن ثمة اتجاه غربي منذ فترة نحو التوقف عن استخدام مصطلح استشراق؛ لأنه ينطوي على دلالات ســـلبية ومعاني تاريخية سيئة في تاريخ علاقة الغرب بالشرق، كما أن هذا المصطلح لم يعد يفي بوصف الباحثين المتخصصين في العالم الإسلامي. فكان من قرارات منظمة المؤتمرات العالمية في مؤتمرها الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣م. بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة "المؤتمرات العالمية للدراسات حول آسيا وشمال أفريقيا"، وعقدت المنظمة مؤتمرين تحت هذا العنوان إلى أن تم تغييره مرة ثانية إلى "المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية".

وقد عارض هذا القرار دول الكتلة الشرقية، أي روسيا والدول التي كانت تدور في فلكها. ومع ذلك ففي المؤتمر الدولي الخامس والثلاثين للدراسات الآسيوية والشمال أفريقية الذي عقد في بودابست بالمجر كان مصطلح استشراق ومستشرقين يستخدم دون أي تحفظات، مما يعني أن –كما يقـــول مطبقاني[١٤]– الأوربيين الغربيين والأمريكيين هم الأكثر اعتراضاً على هذا المصطلح ولعل هـــذا ليفـــيد المغايـــرة بحيـــث يتحدثون عن المستشرقين ليثبتوا أنهم غير ذلك بل هم مستعربون **Arabists**، أو إسلاميون **Islamists**، أو باحثون في العلوم الإنسانية **Humanists**، أو متخصصـــون في الدراسات الإقليمية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي تختص ببلد معين أو منطقة جغرافية معينة.

المطلب الثاني: المنهج الاستشراقي

لقد اتخذ الاستشراق منذ نشأته مناهج مختلفة:

الأول: النهج اللاهوتي المتطرف، ولكن هذا النهج لم يستطع أن يبتعد عن التطرف الذي أعمى بصـــيرتهم بخرافات عصورهم المظلمة، فقوى وتركز فيه الجهد على ترجمة ما احتاجوا معرفته عن اللغات الشرقية وشعوبها بغية تنصيرها.

ويتميز هذا النهج بمجافاة المنهج العلمي، وذلك بإهمال المبادئ الأولية لهذا المنهج، والانطلاق من مزاعم باطلة في دراسة الإسلام، مثل بشرية القرآن، وعدم صدق النبي صلى الله عليه وسلم في نـــبوته، والاعـــتماد في جمـــع المعلومـــات على مصادر غير علمية، وتجاهل المصادر الصحيحة، والاستدلال بالروايات الواهية الساقطة، وإغفال الروايات القوية الصحيحة[١٥].

ويتسم هذا المنهج بالتموية والتلبيس في البحث، وذلك بالخلط بين الحق والباطل، وزرع الشكوك بدعوى الالتزام بالمنهج التاريخي الاجتماعي، والاستدلال بالأدلة على غير ما تدل عليه، وتحليل أحداث التاريخ الإسلامي تحليلاً مراوغاً يخدم الأغراض والأهداف المرسومة للدراسات الاستشراقية[١٦].

الثاني: النهج الوضعي

يختلف مفهوم الإسلام للدين عن مفهوم مدرسة العلوم الاجتماعية، بزعامة "أوجست كونت، ودوركايم وليفي بريل". فهذه المدرسة تعتبر الدين ظاهرة من الظواهر الاجتماعية، أي أنه لم يترل من السماء إلى الأرض، وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها، وهذا المفهوم الذي يعتبره الاستشراق للدين في محاولة فهمه للإسلام مفهوم خاطئ؛ لأنه يعتمد على الفلسفة المادية ولا يعترف بعالم الغيب الذي يقرر الوحي، والنبوة، والجزاء، والبعث والحساب. ومن هنا فغن منهج علم الأديان الذي يعتمده الاستشراق الغربي لا يستطيع أن يعالج الإسلام أو ينظر إليه قياساً على الديانات الوضعية مثل الهندوسية، والبوذية، فاعتمادهم على منهج علم الأديان لا يستطيع أن يعالج الإسلام كبقية الديانات؛ فالإسلام فوق الحقائق الطبيعية والاجتماعية والفلسفية والعلمية التي يقول بها المستشرقون.

ويرتبط مفهوم الاستشراق للإسلام بمفاهيم اللاهوت من ناحية العلمانية، والمادية من ناحية أخرى، فهم في النظرة إلى الإسلام لا يستطيعون أن يخرجوا عن مفهوم العلاقة بين النصرانية الغربية وبين المجتمع الأوربي، ولا يستطيعون التحرر من خصوصية النصرانية وارتباطها بالتطبيق السائد في الغرب باعتبار النصرانية الغربية ظاهرة اجتماعية لأنها ليست النصرانية المترلة.

فالإسلام لا يقر مفهوم أن الدين ظاهرة اجتماعية أو ظاهرة مرحلية تلت الوثنية وتعقبها مرحلة العلم من ذلك الادعاء بأن الشعوب الراقية لا تحتاج إلى الدين أصلاً، وهو خطأ وقع فيه كل المستشرقين الذين ساروا على نهج "أوجست كونت" ١٧٩٨– ١٨٧٥م. رائد الفلسفة الوضعية في كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية" (١٨٣٠– ١٨٤٢م)، وقد شرح فيه ما يعرف باسم "قانون المراحل الثلاث" وهو القانون الذي حدد وفقاً له مراحل تقدم التفكير الإنساني. ويرى "كونت" في هذا القانون أن تطور التفكير الإنساني قد مرَّ بثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى منها هي اللاهوتية، وهي مرحلة الدين وتمثل بداية التفكير الإنساني؛ فالإنسانية بدأت في عهد الطفولة

خاضعة في تفكيرها للخيال والتفكير الأسطوري الذي يفسر كل شئ بقوى إلهيه. والمرحلة الثانية هـي الميتافيزيقـية: وانتقل الإنسان في هذه المرحلة من مرحلة التفكير الديني اللاهوتي إلى مرحلة التفكير الميتافيزيقي، وهذه المرحلة في نظر "كونت" مجرد تعديل للمرحلة اللاهوتية؛ فهما يشتركان في خصـائص عديدة من أهمها التفكير الخرافي، والمرحلة الثالثة هي الوضعية العلمية: وتعتمد على وصـف الظواهـر والأحداث وصفاً استقرائياً، وبيان علاقاتها المباشرة، ومعرفة القوانين الطبيعية الثابـتة، دون تفسـيرها أو ردهـا إلى علل دينية أو ميتافيزيقية. ومـن ثم انتهى دور الدين عند "كونت"[١٧].

الثالث: المنهج العلمي

مما لا شك فيه أن للمستشرقين فضلاً كبيراً في إخراج الكثير من كتب التراث ونشرها محققة مفهرسة مبوبة، ولا شك أن الكثير منهم يملكون منهجية علمية تعينهم على البحث، ولا ريب في أن لدي بعضهم صبراً ودأباً وجلداً في التحقيق والتمحيص وتتبع المسائل، وما على المسلم إلا أن يلـتقط الخير من مؤلفاتهم متنبهاً إلى مواطن الدس والتحريف ليتجنبها أو ليكشفها أو ليرد عليها؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، خاصة وأن الفكر الاستشراقي المعاصر قد بـدأ يغـير من أساليبه وقسماته من أجل المحافظة على الصداقة والتعاون بين العالم الغربي والعالم الإسلامي وإقامة حوار بين المسيحية والإسلام، ومحاولة تغير النظرة السطحية الغربية إلى المسلمين، وربما كمحاولة لاستقطاب القوى الإسلامية وتوظيفها لخدمة أهدافهم[١٨].

وعلى ضوء هذه المناهج السابقة انقسم المستشرقون إلى ثلاث فئات:

الفـئة الأولى: تـتخذ موقف التعصب تجاه الحضارة العربية وتعدها مجرد ناقلة عن الحضارتين الإغريقية والفارسية.

الفـئة الثانية: تقتصر في تسمية حضارتنا على أنها إسلامية فقط وتدعى أنها نتاج شعوب من أصول آرية ورومية وهندية.

الفـئة الثالثة: فهي تضم صفوة من المستشرقين الذين تبينوا بأنفسهم مدى إسهامات العرب والمسلمين في إرساء قواعد الحضارة الأوربية بأفكارهم وعلومهم التي بدأوها بالترجمة ثم التأليف.

لكن هناك من الباحثين من يرى وجود تيارين استشراقيين متفارقين:

أولهما: الاستشراق التبشيري.

ثانيهما: الاستشراق المناهض للاكليروس والمنحدر من أُرومة فولتيرية.

أما الاستشراق التبشيري فكانت تقوم به الإرساليات المسيحية التي كانت تعزو التقدم الأوربي للدين المسيحي، والتأخر الشرقي للدين الإسلامي! وكانت هجماتها على الإسلام تتسم بالعدوانية الموشـــاة بالحداثـــة مع أنها في جوهرها امتداد لأساليب الجدال والهجوم التي مورست في العصور الوســـطى. وبالنسبة للاستشراق المناهض للإكليروس والمنحدر من أُرُومة فولتيريه، فقد كان يمجد الـــروح الآريـــة ضد الروح السَّامية، ويقدس الحضارة الهيللينية القائمة على عبادة العقل والحرية والجمال، بينما كان يمتهن الحضارة العربية الإسلامية خاصة والسامية عامة، بوصفها عاكسة لجبرية كســولة، وإيمانـــية مغلقـــة، وعدم تسامح وامتهان للفنون ومناهضة للتفكير العلمي والفلسفي، ويذهب في هذا الاتجاه –مع بعض الترددات– أرنست رينان **Renan**[١٩].

المبحث الثاني

الاستشراق وصحة النبوة

المطلب الأول: تطور الدراسات الاستشراقية عن نبوة محمد ﷺ:

يستلزم تتبع تطور الدراسات الاستشراقية عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، معرفة الخلفية التاريخـــية العامـــة للاستشـــراق لأنهـــا تمـــثل السياق التاريخي الذي تطورت في رحمه الدراسات الاستشراقية عن نبوة محمد ﷺ.

وبدايةً نجد أنه من الصعب تحديد بداية للاستشراق كميدان بحثي، وليس كمصطلح فقد سبق أن تعرضنا لهذا.

وقد اختلف الباحثون في ذلك؛ فيرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري، وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول: حياة محمد، والثاني: حوار بـــين مسيحي ومسلم. وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين. وأيا كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية[٢٠].

ويرى آخرون أن الوثائق التاريخية تشير إلى أن الاستشراق قد بدأ فعلاً في سنة ١١٣٠م عندما أنجـــز رجـــال الديـــن في أوربا أول الأعمال المترجمة لأمهات الكتب العربية التي احتوت آخر ما توصـــلت إليه الحضارات آنذاك من علوم ومعارف ثم اتخذ شكل الترجمة العكسية من العربية إلى اللاتينية.

وهـــناك مـــن يعود بهذا المصطلح من حيث الظهور إلى أعمال الراهب الفرنسي (جرير دي أوراليان) الذي عاش في الفترة من (٩٤٠- ١٠٠٣م).

ويرى آخرون أن الحروب الصليبية هي بداية الاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين. وبخاصة أنه بعد هزيمة لويس التاسع وأسره في المنصـــورة، ومـــا تمخـــض عنه تفكيره من صعوبة هزيمة المسلمين عسكرياً فلابد من التخطيط الفكري بجانب التخطيط الحربي والسياسي مما تمخض عنه بداية الدراسات الاستشراقية.

ومـــن الآراء في بدايـــة الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجمع فيينا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراســي لدراســة اللغــات العربــية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوربية مثل باريس وأكسفورد وغيرها. ويرى الباحث الإنجليزي ب. إم هولت **P.M. Holt** أن القرارات الرسمية لا يــتم تنفــيذها بالطريقة التي أرادها صاحب القرار لذلك فإن القرار البابوي هنا لا يعد البداية الحقيقية للاستشراق. وبعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس؛ فاحتكاك النصارى بالمسلمين في الأندلس هو الانطلاقة الحقيقية لمعرفة النصارى بالمسلمين، والاهتمام بالعلوم الإســـلامية، ويمـــيل إلى هذا الرأي بعض رواد البحث في الاستشراق من المسلمين ومنهم الشيخ الدكتور مصطفى السبـــاعي[٢١].

والراجح أن الاستشراق اللاهوتي بدأ بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م. وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية.

وإذا أردنا أن نتوقف عند بعض محطات بدايات الاستشراق الرئيسية، وأهم أعلام الاستشراق في هـــذه المحطات، فنجد أن هربر دي أورلياك (٩٣٨- ١٠٠٣م) من الرهبانية البندكتية، قصد الأندلس، وقرأ على أساتذتهم ثم انتخب -بعد عودته- حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني ٩٩٩ – ١٠٠٣م، فكان بذلك أول بابا فرنسي، وفي عام ١١٣٠م قام رئيس أساقفة طليطلة بترجمة بعض الكتب العلمية العربية. وقصد جيرار دي كريمونا ١١١٤- ١١٨٧م. إيطالي، طليطلة وترجم ما لا يقل عن ٨٧ مصنفاً في الفلسفة، والطب، والفلك، وضرب الرمل.

وقـــام بطرس المكرم ١٠٩٤- ١١٥٦م فرنسي من الرهبانية البندكتية، رئيس دير كلوني، بتشكيل جماعة من المترجمين للحصول على معرفة بالإسلام، وقد كان هو ذاته وراء أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية ١١٤٣م التي قام بها الإنجليزي روبرت أوف كيتون.

وســـعى الغـــرب إلى دراسة الحضارة الإسلامية من كل جوانبها العلمية والفكرية والدينية، ودرســـوا كـــل الكـــتابات العلمية وترجموا عنها، وأخذوا منها عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية.

وإذا أردنا أن نتوقف عند بعض الأمثلة أنه في عام ١١٣٠م قام رئيس أساقفة طليطلة بترجمة بعض الكتب العلمية العربية. وقصد جيرار دي كريمونا ١١١٤- ١١٨٧م إيطالي، طليطلة وترجم ما لا يقل عن ٨٧ مصنفاً في الفلسفة والطب والفلك وضرب الرمل.

ونقل يوحنا الإشبيلي -يهودي متنصر في منتصف القرن الثاني عشر وعني بعلم التنجيم- إلى العربية أربعة كتب لأبي معشر البخلي ١١٣٣م. وقد كان ذلك بمعاونة إدلر أوف باث.

وتلقى روجر بيكون ١٢١٤- ١٢٩٤م. الإنجليزي، علومه في أكسفورد وباريس حيث نال الدكتوراه في اللاهوت، وترجم عن العربية كتاب "مرآة الكيمياء".

وقضـــى رايموند لول ١٢٣٥- ١٣١٤م. تسع سنوات ١٢٦٦- ١٢٧٥م في تعلم العربية ودراسة القرآن وقصد بابا روما وطالبه بإنشاء جامعات تدرس العربية لتخرج مستشرقين قادرين عـــلى محاربة الإسلام. ووافقه البابا. وفي مؤتمر فيينا سنة ١٣١٢م تم إنشاء كراس للغة العربية في خمـــس جامعات أوربية هي: باريس، اكسفورد، وبولونيا بإيطاليا، وسلمنكا بأسبانيا، بالإضافة إلى جامعة البابوية في روما[٢٢].

ويمكن تلمس بعض الفترات الزمنية السابقة من خلال ما ألف حول الشرق ونبوة محمد ﷺ بخاصـــة عند الغربيين، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر -وكلها تعرضت لنبوة محمدﷺ- كتاب يوهـــان هوتنغر (تاريخ الشرق) الذي ظهر عام ١٦٥١م.وكتاب (المكية الشرقية) لمؤلفه (بارتلمي دير بيلو) الذي طبع بعد وفاته عام ١٦٩٧م. وكتاب (تاريخ العرب) لمؤلفه (سيمون أوكلي) الذي ظهر المجلد الأول منه في العام ١٧٠٨م، وترجمه "جورج سيل هول" للقرآن عام ١٧٣٤م.

ولا شك أن هذه الديانات لا تعد البداية الحقيقية للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتب سنوياً ومئات الدوريات، ويعقد المؤتمرات، وإنما تعد هذه جميعاً من قبيل الإرهاص لها وما أتى بعدها يعـــد من قبيل تعميق الفكرة، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها. فالبداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجـــد في العـــالم الغربي اليوم ولاسيما بعد أن بنت أوربا نهضتها الصناعية والعلمية وأصبح فيها العديـــد مـــن الجامعـــات ومراكز البحوث وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث قد

انطلقت منذ القرن السادس عشر، ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية مثل كرسي اكسفورد عام ١٦٣٨م، وكامبريدج عام ١٦٣٢م.

وفي القرن ١٩ كان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي **Silvester de Sacy** التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوربيين وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن، وإنشاء الجمعيات الاستشراقية وأيضاً بداية منظمة المؤتمرات العالمية للمستشرقين عام ١٨٧٣م. في عقد مؤتمراته السنوية(٢٣).

وفي هذا القرن تدفقت جهود المستشرقين في دراسة سيرة محمد ﷺ ونبوته منذ فترة مبكرة في تاريخ الاستشراق، ثم تواصلت هذه الجهود حتى اليوم.

فمثلاً ظهر كتاب جوستاف فايل "محمد الرسول، حياته وتعاليمه" عام ١٨٤٣م، وخلال الأعوام ١٨٥٨- ١٨٦٠م، قدَّم فرديناند وستنفلد سيرة ابن هشام في نصها الأصلي، بينما ظهر كتاب "تيودور نولدكه" قبل قرن وربع القرن "تاريخ القرآن"، وبعد عام من ذلك التاريخ ظهرت الترجمة الألمانية لـ"سيرة ابن هشام".

ولم يقف من تلا هؤلاء متفرجاً، بل ساهم بنصيبه في نفس المنحى والاتجاه، وكان من أبرز هؤلاء الفرنسي "ليون كاتان"، والهولندي "سنوك هورجرونيه"، والمجري "جوزيف هوروفتز"، والألمانيان "فرانتس بوهل، وتور آندريه"، والإنجليزيان "ريتشارد بل، وزميله مونتغمري وات".

لقد أسهم هؤلاء في إعادة تشكيل صورة النبي ﷺ والقرآن والإسلام في العقل الغربي، لكنها لم تكن صورة غريبة عن تلك الصورة التقليدية المتوارثة في الوعي الغربي، الصورة التي ظل العقل الغربي في أسرها قرون عديدة، وإن تنوعت أساليب التعبير عن النبيﷺ والإسلام والقرآن بين جيل وآخر من أجيال المستشرقين.

وفي عام ١٩٧٣م عقد مؤتمر المستشرقين الدولي في باريس وليكون آخر مؤتمر دولي يحمل هذه التسمية، فقد اتفقوا فيه على إلغاء هذا الاسم لتصبح التسمية الجديدة مؤتمرات العلوم الإنسانية الخاصة بمناطق العالم الإسلامي. وأصبح المتخصصون في مجال الدراسات العربية الإسلامية يطلق عليهم ما يميزهم وفقاً للمنطقة التي تخصصوا في دراستها أو في المجال العلمي الذي يدرسونه. ويمكن إرجاع إلغاء التسمية إلى سببين محتملين؛ أحدهما أن كلمة استشراق أصبح لها حمولات سيئة، وقد

كثرت الكتابات الإسلامية التي تنتقد الاستشراق، أما السبب الثاني فلعله أنهم لم يعودوا ينظرون إلى العالم الإسلامي بصفته مصدراً للعلم والمعرفة، كما دلّت التسمية في أصلها ووفقاً للمعاجم الغربية[٢٤].

ولئن انتهى الاستشراق في شكله التقليدي القديم، فإنه غير جلدته ليناسب المرحلة الجديدة التي تفتحت الأعين في العالم الإسلامي على الدراسات الاستشراقية. ومع استمرار الاهتمام بالقضايا الاستشراقية التقليدية كدراسة نبوة محمد ﷺ ودراسة العلوم الإسلام المختلفة، كالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، والتاريخ الإسلامي، واللغة العربية، وآدابها، فإن الموضوعات الجديدة التي أصبحت تحتل مساحة مهمة هي ما يمكن أن نطلق عليه العالم الإسلامي المعاصر، أو قضايا العالم الإسلامي المعاصرة.

ولعل أول القضايا المعاصرة الاستمرار في دراسة العقيدة الإسلامية، ومدى تمسك المسلمين بها، لأن العقيدة الإسلامية هي المحرك الأساس لحياة الأمة الإسلامية، وتعتمد قدرة الغرب على السيطرة على العالم الإسلامي على مدى قرب المسلمين من عقيدتهم أو بعدهم عنها، فكلما كان المسلمون أقوى عقيدة وإيماناً ضعفت فرص الغرب في الهيمنة والنفوذ.

فالإسلام دين لا يقبل أن يكون تابعاً ولا خانعاً. فأول كلمة يتفوه بها من يريد الدخول فيه هي لا إله إلا الله محمد رسول الله، مما يعني التخلص من كل أنواع العبوديات وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع.

ويتعاون الاستشراق والاستعمار والتنصير على دراسة العقيدة الإسلامية، وإن كان الهدفان مختلفين ظاهراً لكنهما في النهاية يترعان إلى الهيمنة والسيطرة، فالتنصير يسعى إلى إخراج المسلمين من عقيدتهم ليدخلوا النصرانية، ويكونوا أتباعاً لهم، وكذلك الاستشراق. وقد جاء في كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" أقوال لمنصرين ومستشرقين تؤيد هذا[٢٥]. ولذا يقول محمد قطب: "عمل المستشرقون لخدمة الصليبية الصهيونية وسائلهم العلمية!"[٢٦].

ومما يدعو الغربيين لدراسة العقيدة الإسلامية بروز تيار ما يسمى "الصحوة الإسلامية" وازدياد ظاهرة العودة إلى الإسلام في أنحاء العالم الإسلامي، وكذلك إقبال أعداد متزايدة من النصارى على الدخول في دين الله، ومعرفة العقيدة الإسلامية يدل الغربيين على طريقة التعامل مع هذه الصحوة.

ومـــن القضايا المعاصرة الدراسات الغربية حول الأوضاع السياسية للعالم الإسلامي فقد بلغ عدد الدوال الإسلامية اثنتين وخمسين دولة مما يجعل هذا الوضع قريباً مما شهده العالم الإسلامي إبّان ما كان يسمى بعهد ملوك الطوائف. وهذه الدول ينبغي في نظر الغرب أن تبقى متفرقة، وأن تتم دراستها وحدها أو وضعها في مجموعات لتسهيل دراستها والإلمام بكل شؤونها.

ويلاحـــظ أن المؤسسة الإسلامية بمدينة ليستر البريطانية تصدر دورية مهمة تتابع ما يكتب في الغرب حول العالم الإسلامي فتفرد عنواناً خاصاً بكل دولة.

وتشمل الدراسات السياسية نشأة هذه الدول وأنواع حكوماتها وسياساتها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، والعلاقات بين الحكومات وشعوبها. وتتضمن هذه الدراسات رصداً لأبرز الشخصيات السياسية والعلمية والإسلامية بصفة خاصة.

ويهتم الاستشراق المعاصر أيضاً بالأوضاع الاقتصادية من حيث الثروات الطبيعية أو المعدنية التي توجد في العالم الإسلامي، وهذه الثروات التي يتطلع الغرب إلى أن يظل مهيمناً عليها تصنيعاً وتسويقاً، ولا يبقى للبلاد الإسلامية إلا الاستهلاك وبعض المال الذي سرعان ما يضخ في الاقتصاد الأوربي لأنـــنا اقتنعنا أن الاستثمار عندهم يأتي بعائد كبير. وهم يفتعلون بين الحين والآخر هزات اقتصادية هنا وهناك لإضاعة هذه المكتسبات الوهمية.

وتركز الدراسات الاقتصادية على إبقاء الدول الإسلامية في حد الفقر بإغراقها بالديون التي بلغـــت أرقامهـــا أرقاماً فلكية عدا عن الفوائد الربوية التي تعجز كثير من الدول عن سدادها فما بالك بأصل الدين[٢٧].

لكـــن هذا لا يعني بالضرورة انقطاع الدراسات الاستشراقية عن النبي ﷺ في العصر الحالي؛ فهي لا تزال مستمرة بغزارة، لأن كل هذه القضايا مرتبطة بشكل أو آخر بالنبي محمد ﷺ باعتباره الرسول المبلغ لهذا الدين.

المطلب الثاني: صحة نبوة محمد ﷺ في الاستشراق المعاصر

إن الاستشراق المعاصر مع الأسف لا يزال يدور في إطار الصورة التقليدية الغربية للنبي محمد ﷺ. ولا أدل على ذلك من تتبع هذه الصورة عبر مراحل الاستشراق حتى اللحظة الحالية؛ حيث ســـوف نجد أن كثيراً من المغالطات لا تزال مستمرة. إن الإطار الفعلي الذي وضعت فيه صورة الإســـلام عـــلى مدى قرون طويلة –كما أوضح الأستاذ عمر لطفي العالم في كتابه "المستشرقون

والقــرآن"[٢٨]- كان سلسلة من الافتراءات والتهم التي تناولت شخص الرسول أولاً، والرسالة التي بُعث بها ثانياً، ولقد أجمل مؤلف كتاب "الإسلام والغرب" Normann Daniell خطة الأيديولوجيين المسيحيين لخلخلة جذور الإسلام في عبارة وردت في باب النبوة المزيفة، بقوله: "لقد بدا لأولئك الأكثر اهتماماً أن الهجوم المسيحي يجب، أن يوجه بمجمله إلى تعرية الرسول ﷺ، فلذا أمكــن إظهـــاره عـــلى حقيقته، أي تجريده من صفات النبوة، فإن ذلك سيؤدي إلى انهيار صرح الإسلام كله"[٢٩].

كمـــا أكـــدت المستشـــرقة شيمل Schimmel ذلك بقولها: "لقد أثار محمد من الخوف، والكره، وحتى الازدراء في عالم الغرب اكثر مما أثارته أي شخصية تاريخـــية أخرى.."[٣٠].

لقـــد تدفقت جهود المستشرقين في دراسة سيرة الرسول ﷺ ونبوته منذ فترة مبكرة في تاريخ الاستشراق ثم تواصلت هذه الجهود حتى اليوم، وعلى سبيل المثال نجد ريتشارد بل يزعم بأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم، قد استمد القرآن من مصادر يهودية ومن العهد القديم بشكل خاص، وكذلك من مصادر نصرانية. ويزعم دوزي ت ١٨٨٣م أن القرآن الكريم ذو ذوق رديء للغاية ولا جديد فيه إلا القليل، كما يزعم أن فيه إطناباً بالغاً ومملاً إلى حد بعيد. ويرى "شيلدون آموس" أن الشرع المحمدي ليس إلا القانون الروماني للإمبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية، ويزعم كذلك أن القانون المحمدي ليس سوى قانون جستنيان في لباس عربي، وزعـــم جورج سيل في مقدمة ترجمته لمعاني القرآن ١٧٣٦م. أن القرآن إنما هو من اختراع محمد ومن تأليفه وأن ذلك أمر لا يقبل الجدل[٣١].

وظهر كتاب جوستاف فايل "محمد الرسول: حياته وتعاليمه" عام ١٨٤٣م، وخلال الأعوام ١٨٥٨- ١٨٦٠م قـــدّم فرديناند وستنفلد سيرة ابن هشام في نصها الأصلي، بينما ظهر كتاب تـــيودور نولدكه منذ قرن وربع القرن "تاريخ القرآن"، وبعد عام من ذلك التاريخ ظهرت الترجمة الألمانية لسيرة ابن هشام.

ولم يقـــف مـــن تلا هؤلاء متفرجاً، بل ساهم بنصيبه في نفس المنحى والاتجاه، وكان من أبرز هـــؤلاء الفرنســـي لـــيون كاتان، والهولندي "سنوك هورجرونيه"، والمجري "جوزيف هوروفتر"، والألمانيان "فرانتس بوهل، وتور آندريه"، والإنجليزيان "ريتشارد بل، وزميله مونتغمري وات". لقد أســـهم هؤلاء في إعادة تشكيل صورة النبي ﷺ والقرآن والإسلام في العقل الغربي، لكنها لم تكن

صورة غريبة عن تلك الصورة التقليدية المتوارثة في الوعي الغربي، الصورة التي ظل العقل الغربي في أســـرها قرون عديدة، وإن تنوعت أساليب التعبير عن النبيﷺ والإسلام والقرآن بين جيل وآخر من أجيال المستشرقين.

ومـــن الملاحـــظ أن السيرة النبوية في الدراسات الاستشراقية تأخذ حيزاً كبيراً من كتابات المستشـــرقين حول الإسلام، ونكاد لا نجد كتاباً عن الإسلام وتاريخه إلا وقد تناول شيئاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته. بل إننا نجد أن معظم مترجمي القرآن من المستشرقين قدموا بذلك بمقدمة عن السيرة النبوية العطرة، وبعضهم كان هدفه من الترجمة للقرآن هو عرض الجانب الفلسفي والفكري، باعتبار هذا القطاع هاماً في دراسة تاريخ الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ الفـــتوح الإسلامية. ولقد لاقت تلك الكتابات الاستشراقية عند المسلمين الإعجاب حيناً والنقد والـــرد أحـــايين كـــثيرة، وجاءت ردود المسلمين على أكابر المستشرقين أمثال كارل بروكلمان **Brockelmman**، وجولـــد زيهر **Goldziehr**، ومونتغمري وات **Motogomery Watt**، ولويـــس ماســـنيون **Louis Massingnon** ومارجليوث **Margoliouth**، وغيرهـــم. ولقد جاءت مواقفهم العامة تجاه السيرة النبوية متشابهة إلى حد ما، فكثير منهم يصف كتاباته بالموضوعية والعلمية ولكنه يخرج عن المنهج الذي رسمه لنفسه وكثير منهم ينظر إلى شخصية محمـــد صلى الله عليه وسلم على أنه شخصية مبدعة ومجددة ومصلحة ولكنهم يسلبون عنه صفة النبوة وخاصة الرسالة والوحي،(٣٣).

وهناك بعض المستشرقين ممن شاركوا بكتابتهم في السيرة النبوية ولكنهم لم يحظوا بذلك البريق من الشهرة، مع العلم أنهم قدموا أعمالاً لاقت رواجاً وانتشاراً لا تقل كثيراً عن أعمال المستشرقين المشـــهورين، ومن بين هؤلاء المستشرقين المستشرق الفرنسي "سيديو" أستاذ التاريخ في كلية سان لويس، ويأتي كتابه "تاريخ العرب العام" في مقدمة كتبه التي ذاع صيتها وتلقفتها أيدي الدارسين في كثير من الجامعات الغربية والشرقية.

كما تحدث سيديو عن الإسلام ونصيب الأخلاق في تعاليمه فذكر دعوة النبي صلى الله عليه وســـلم للأخلاق، ثم يزعم أنه لا يوجد في القرآن ما في الإنجيل من التسليم الذي يفيد كثيراً عند الشدائد، فترى –من وجهة نظره– محمداً يأذن عند كثير من التناقضات في مقابلة السيئة بالسيئة،

كـــأن الـــناس لم يكونوا مستعدين لهذا من قبل. ومحمد حين يقول بمبدأ القصاص الذي رضى عنه اليهود –مع ذلك– يكون قد ساير أحكام زمـــانه وقومه[٣٤].

وذكر دياب "سيديو" من بين المستشرقين المتعصبين؛ فمن رأيه أن المستشرق "سيديو" في كتابه "تاريخ العرب العام" سلك مسلك التمويه فأشاد بالإسلام في مقدمة كتابه وحشي بداخله الكثير مـــن الافتراءات على الإسلام ونبي الإسلام، إن سيديو يريد أن يجعل الإسلام من وضع محمد ﷺ وقد وضعه بصفته زعيماً سياسياً استخدم الدين وسيلة لتحقيق برنامجه السياسي[٣٥].

وقد أثار سيديو شبهة تأثر النبي ﷺ بالنصرانية، ويرى أن النبي ﷺ كان أول سفره إلى الشام مـــع عمـــه أبي طالـــب، فبلغ بصرى فاجتمع ببحيرى الذي كان اسمه لدى النصارى جرجس أو سرجيوس فنال حظوة عنده[٣٦].

ويرى اليهودي برنارد لويس: "أن محمداً خضع للتأثيرات اليهودية والمسيحية كما يبدو ذلك واضحاً في القرآن"[٣٧].

ويقـــول جولدتسهر: "لقد افاد محمد من تاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الاحيان عن طـــريق قصص الأنبياء ليذكر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم ووقفوا في طريقهم"[٣٨].

ويزعم أيضاً أن: "محمداً أخذ يجمع ما وجده في اتصاله السطحي أثناء رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده، ثم أفاد من دون أي تنظيم"[٣٩].

بل ويؤكد أن: "تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصـــاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطـــنه عاطفة دينية صادقة.. فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً[٤٠].

ومن الملاحظ على الدراسات الاستشراقية في تناولها للنبي محمد محاولة اختراق السيرة النبوية وإخضاع حياة النبي لعلوم التربية والسيكولوجية في محاولة للنيل منها وقد باءت المحاولة بالفشل، فالطفل محمد صلى الله عليه وسلم الذي حرم من نعمة الأمومة والأبوة، وافتقد الحنان، منح الدنيا بأسرها عاطفة وحناناً ورحمةً، مع أن القاعدة المعروفة أن "فاقد الشيء لا يعطيه". إن محاولة إخضاع

العصر النبوي للإطار التراثي ترمي إلى محاولة جعل العصر النبوي تراثاً باسم الفضول العلمي حتى يرفع عنه رداء القدسية والألوهية.

وقد جاء على هذا المنوال منهج المستشرق "لامنس" وغيره من الذين طرحوا القضايا الخاصة بالعصر النبوي لتدنيس المقدسات والتشكيك في أنها دنيوية ولا صلة لها بالوحي وأنها مجرد تراث بشري قابل للأخذ والرد. وذلك في إطار محاولتهم التشكيك في الأنبياء والرسل وفي محاولة أن يسقطوا كل هذا الفكر المادي على العصر النبوي وإدخاله في إطار وضعي راحوا يبحثون عن تأثير العوامل الاقتصادية والسياسية والبيئية في جزيرة العرب وهم أساساً منكرون للعقيدة ومحاولة هذا الاستغراب الإلحادي أن يعكس ظلماته على الأمة الإسلامية باستشراق مادي ملحد.

وقد شجع هؤلاء على ذلك الانتصارات التي حققها التجريب العلمي في الغرب والسيطرة على الظواهر واكتشاف القوانين للعديد من مكونات الطبيعة مما فتح شهيتهم ليقدموا للإنسان بدلاً من الإله حوار السماء والأنبياء بحوار الأرض والإنسان.

ومن المحزن أننا وجدنا بعضاً من المثقفين العرب يستبيحون لأنفسهم أن يضعوا أنفسهم لقاء حفنة من المال في خدمة هؤلاء ويبسطوا لهم بعض القضايا ويعاونهم في دراساتهم المقنعة السوداء، وقد تنكر هؤلاء المثقفون العملاء لأمتهم وعقيدتهم ووضعوا أقدارهم لصالح أصحاب المآرب.

ومن هؤلاء الخوري الحداد المبشر اللبناني في كتبه ضد أصالة القرآن[41]، الذي يقول: "فوجود العالم المسيحي ورقة بن نوفل في جوار محمد خمسة عشر عاماً قبل البعثة، وأعواماً بعدها في أوائل الدعوة ووجود هذه الحاشية الكريمة في المدينة مع النبي ﷺ في كل زمان ومكان حجة، قاطعة على أن بيئة النبي والقرآن كانت كتابية من كل نواحيها، وأن ثقافة محمد والقرآن كتابية في كل مظاهرها، وذلك بمعزل عن الوحي والتنزيل"[42].

وجملة القول أنهم أرادوا أن يخترقوا السيرة النبوية ويخضعوا حياة بني الإسلام لعلوم التربية والسيكولوجية فضاربوا على فروع القضية وهوامشها ولم يصلوا إلى جوهرها وأساسها واختلت موازينهم وباءت محاولاتهم بالفشل الذريع، وقد رد على شبهات المستشرقين في هذا المجال كثير من الباحثين المسلمين.

ومن الشبهات التي أثرها المستشرقون ما ذكره "ميل درمنجم" في كتابه "حياة محمد" وزعم أن النبي ﷺ شعر في العقد الأخير من عمره بالميل إلى النساء.

وأثار المستشرق مونتجمري وات في كتابه "محمد في المدينة" كثيراً من الشبهات حول زواج النبي بكثير من الزوجات واتخاذه الجواري، وادعى افتتانه بزينب بنت جحش[٤٣].

وزعم جوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب"[٤٤]، بعد أن أثنى على النبي صلى الله عليه وسلم، أن النبي كان ضعيفاً فيما أسماه حبه الطارئ للنساء بعد أن اقتصر على زوجة واحدة حتى بلغ الخمسين.

كما اجتهد بعض المستشرقين في الطعن في طرق جمع السنة الشريفة زاعمين أن السنة لم يكتب لهـــا البقاء لأنها لم تدون بل كانت تتناقل شفاهة بين الرواة، ولمدة قرنين من الزمن، مثل: "ألفريد جيوم"، "تريتون". وقد بذل المستشرقون جهدهم لتغيير معالم العقيدة الأصلية ولكنهم باءوا بالفشل والخسران المبين.

ومن أوائل من افتروا على النبي ﷺ في العصر الحديث "جولدزيهر"، وكان من قواعده هدم بنيان السنة بصفة عامة، ومن ذلك دعواه أن الحديث النبوي هو نتيجة لتطور المسلمين[٤٥]، وأنه مقتبس من التوراة والإنجيل وغيرهما من المصادر اليهودية والمسيحية[٤٦]. وهي دعوى منهارة أمام المقايـــيس الثابتة من الكتاب والسنة فالرسول صلى الله عليه وسلم لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد نزل على المسلمين سبيل الهداية كاملاً ممثلاً في الكتاب والسنة.

ومن أبرز الشكوك في مجال تدوين السنَّة ما زعمه المستشرقون من أن السنة لم تلق أي تدوين، واحتجوا لذلك بوجود بعض الأحاديث التي تسمح بكتابة الحديث بينما يعارض بعضها الكتابة.

ومن افتراءات المستشرقين على الحديث الشريف زعم جولد زيهر وشاخت(٤٧) وجوينبول(٤٨) أن علماء الحديث اهتموا بالسند أكثر من اهتمامهم بمتن الحديث(٤٩). ويبدو للباحث منذ الوهلة الأولى اهتمامهم بسند الحديث أكثر من اهتمامهم بمتنه، ولكن الحقيقة عكس ذلك -كما يقـــول ساسي سالم الحاج في الرد على هذه الشبهة- فهم عندما قسَّموا الأحاديث إلى صحيحة وحسنة، فإنهم في الحقيقة تناولوا السند والمتن معاً أو السند دون المتن ، أو المتن دون السند. وعند حديث العلماء عن الحديث المعلل فإنهم لم ينفوا تعليل المتن، فقالوا: "لا يطلق الحكم بصحة حديث مـــا لجواز أن يكون فيه علة في متنه"، وقد جاءوا بشواهد كثيرة على ذلك. فلا شك أن المسلمين اهتموا بمتن الحديث عند دراستهم لسنده[٥٠].

ومن جهة أخرى نجد الافتراء على تاريخ النبي ﷺ حيث بحثوا عما ظنوه ثغرات وتناقضات في محاولة لتشويهه، ومحاولة تفسيره بالمنهج الوضعي. وقد تفنَّن هؤلاء المستشرقين من بعدهم في رسم آلاف الصور الخيالية المليئة بالأوهام عن النبي ﷺ والإسلام في أوراقهم وأبحاثهم وكتبهم.

وقـد ترسـخ ذلـك الطابع في وعي ومدارك السياسيين الغربيين وتمسكوا به من أجل إلغاء الطـرف الكافر أو إخضاعه وإلزامه بشروط مذلة في كثير من الحالات والمواقف.. ولا أدل على ذلـك ممـا نتج عن الحملات الصليبية في الماضي وحروب الغرب ضد العالم الإسلامي في العصر الحـالي. لقـد جرت تلك الحروب في الماضي تحت راية (تطهير) فلسطين –مهد المسيحيين– من (مدنِّسـيها). ولا يغيب عن بالنا هنا ما طالب به البابا أوربان الثاني ملوك وحكام أوربا باستعادة (أراضـينا المقدسة من قبيلة الفرس –الأتراك التي تخدم القوى الشيطانية) على حد تعبيره. وتجري الآن تلك الحروب تحت شعارات أخرى.

لقـد كـان موقـف المسيحيين الغربيين من النبي ﷺ والإسلام موقفاً انفعالياً وغير متسامح روحياً.. لأن النبي ﷺ أو الإسلام كان في تصورهم تحدياً يتطلب رداً ومقاومة واهتماماً دائماً به.. وإنه من أجل إدارة الصراع مع عقيدة هذا المنافس –الخصم القوي والخطير– لابد من دراسته، ولم تكن تلك الدراسة تتم من منطلقات موضوعية ونزيهة من أجل التعرف على النبي ﷺ، بل كانت منطلقات تعمل على رسم ما تريده هي من صور وملامح له بما يتوافق وأيديولوجيتها التي بدأت بالتشـكيل منذ ذلك الحين. وعلى سبيل المثال فإن دراسات كثير من المستشرقين حول النبي ﷺ وضـعت في غالبيـتها العظمـى مـن طرف رجال استندوا إلى مصادر شديدة التمايز والتباين كالحكايـات الشـعبية وقصص الأبطال والحجاج القديسين وشهادات بعض المسلمين وتراجم مفكـريهم وعـلمائهم.. ولكن كانت تلك المعلومات المقدمة تنتزع في معظم الحالات من سياقها الأصلي ثم تقدم إلى القارئ الأوربي الذي لا يمتلك في أغلب الأحيان القدرة على محاكمة النصوص ونقدها وتمييز الجيد من الرديء منها.

ومـن أجـل هذا ظهرت وجهة النظر الغربية التي تقول أن محمداً ﷺ لا يمكن أن يكون نبياً حقيقـياً، وأما عقيدته فهي الأخرى لا يمكن أن تكون صحيحة. ولهذا كانت رؤية المسيحيين لمحمد ﷺ أنـه مرتد أو نبي مزيف لا يملك سوى الادعاءات والأضاليل، وصور النبي ﷺ أيضاً على أنه

ساحر معاد للمسيح أو أنه الشيطان ذاته.. وصور الإسلام على أنه لون جديد من الهرطقة اليهودية أو المسيحية، أو على أنه ضرب جديد من الوثنية.

ولقــد انتشرت في كثير من دراسات المستشرقين قصة خرافية مؤداها أن محمداً ﷺ كان في البداية تلميذاً للراهب النسطوري سرجيوس بحيرا زاعمين أنه تلقى منه بعض المعلومات الأساسية عن التوراة والإنجيل وبعد ذلك أعلن نفسه نبياً وكوّن عقيدة خاصة به.

وللأســف لا يــزال بعــض المستشــرقين متأثرين بالحكاية الخرافية التي كتبها أحد الرهبان الدومينيكانــيين، بعــد زيارته لبغداد، ومفادها: بما أنه لم تكن للشيطان قدرات ذاتية كافية لوقف انتشار المسيحية في الشرق اخترع كتاباً يمثل حلقه وسطى بين عهدين (القديم والجديد) واستخدم لأجل هذه الغاية الشريرة وسيطاً من طبيعة الشيطان ذاته. أما الكتاب فهو القرآن بينما الوسيط، هو محمد ﷺ الذي يجسد دور المسيح الدجال!!

ولا يزال كثير منهم متأثراً بأسطورة من الأساطير التي انتشرت عن النبي محمد ﷺ في القرون الوسطى والتي تقول أنه ساحر كبير استطاع عن طريق السحر والخداع تحطيم الكنيسة في أفريقيا وفي الشرق وأنه سمح بالدعارة والفسق لكسب مزيد من الاتباع!! حول تلك الصورة القاتمة التي رسمها الأوائل في القرون الوسطى لنبي الإسلام محمد ﷺ، يؤكد المستشرق الفرنسي كاراديفو أن محمــداً ﷺ ظــل زمناً طويلاً معروفاً في الغرب معرفة سيئة فلا تكاد توجد خرافة ولا فظاظة إلا نسبوها إليه!!

وإضــافة إلى الكتابات التي تناولت حياة النبي محمدﷺ، تطورت الكتابات التي تشمل القرآن والوحــي الإلهي، فهي محاولة تحطيم تلك الصلة السماوية بين الله سبحان وتعالى ونبيه الكريم ﷺ، وبالتالي تحطيم النبوة التي تستند على الوحي.

فهذا مونتجمري وات، يرى أن النبي ﷺ رجل دولة ويشكك في نبوته(٥١)، وهذا جوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" يرى أن النبي ﷺ مصاب بالصراع وأنه من فصيلة المهوسين من الناحــية العلمــية كأكبر مؤسسي الديانات، ويعد القرآن من شواهد عبقرية محمدﷺ، وهو من إنشــائه، ولكــنه مقارنة بكتب الهندوس الدينية أقل قيمة منها، فهو يزعم أنه لا يوجد في عامية القرآن ولاهوتيته الصبيانية التي هي من صفات الأديان السماوية ما يقاس بنظريات الهندوس.. ثم

يـــنكر شمولية القرآن ويرى أنه مؤقت بعصره، لا يحقق حاجات الفرد في عصور لاحقه، بل يجعله سبب تخلف المسلمين[٥٢].

وينســب المستشــرق جولــد زيهر المعرفة الدينية التي تلقاها محمد ﷺ إلى عنصرين خارجي وداخلي، ويزعم أن تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصــاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطــنه عاطفة دينية صادقة وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجدانه ضرورية لإقرار لون من الحياة في اتجاه يريده الله.. ويزعم جولد زيهر أنه قد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه وإدراكها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إليها[٥٣]!!

أما فويلز فيتخيل محمداً ﷺ رجلاً دفعته طموحاته ووساوسه في سن الكهولة إلى تأسيس دين لــيعد في زمــن القديسين؛ فألف مجموعة من عقائد خرافية وآداب سطحية وقام بنشرها في قومه فاتبعها رجال منهم! ويشكك بلاشير في جمع القرآن[٥٤]، ويزعم أسلوب النبي في القرآن أول عهده بالدعوة كان مفعماً بالعواطف، قصير العبارات، فخم الصورة، يقدم أوصاف العقاب والثواب في ألــوان صــارخة.. وكثيراً ما يكرر الآيات تكراراً مملاً حتى تتقلب معانيها إلى الضد.. فلما تقدم الزمن بالنبي فقد الأسلوب منهجه الأول، وأخذ يقص في نغمات هادئة بديعة قصص الأنبياء، مثلما تراه في قصة يوسف، وكانت هذه الصورة مثيرة لخيال كثير من شعراء الفرس والترك.

وفي آخــر عهــد النبي فقد الأسلوب كل حرارة وكل فن وأغرم بالجدل الديني مع اليهود والنصارى(٥٥). والمستشرق الألماني نولدكه في كتابه تاريخ القرآن عمل على نفي أن تكون فواتح الســور من القرآن مدعياً أنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجــد المصحف العثماني، فمثلا حرف الميم كان رمزاً لمصحف المغيرة، والهاء لمصحف أبي هريرة، والصاد لمصحف سعد بن أبي وقاص، والنون لمصحف عثمان.. فهي عنده إشارات لملكية الصحف، وقــد تركت في مواضعها سهواً ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآناً. كما شكك نولدكه في ترتيب القرآن على النحو الذي وصل إلينا[٥٦].

تلــك الآراء كانــت بعضــاً من محطات كثيرة أسس فيها الغربيون الأدباء منهم والكتاب والمستشرقين لصورة هي الغالبة على أذهان الأوربيين عن النبي ﷺ والإسلام.

ولم تخل تلك الكتابات من بعض الأنصاف الذي ساد لهجة قسم من هؤلاء الباحثين، وأحدهم المستشـــرق الفرنسي كلود اتيان سافاري الذي وصف النبيﷺ في مقدمة ترجمته للقرآن بالعظمة، وأكد أن محمداً ﷺ أسس ديانة عالمية تقوم على عقيدة بسيطة لا تتضمن إلا ما يقره العقل من إيمان بالإله الواحد الذي يكافئ على الفضيلة ويعاقب على الرذيلة.. فالغربي المتنور وإن لم يعترف بنبوته لا يستطيع إلا أن يعتبره من اعظم الرجال الذين ظهروا في التاريخ.. وأيضاً ما قاله توماس كارلايل المستشـــرق الإنجليزي في كتابه (الأبطال): "الرسالة التي أداها ذلك الرجل ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لمئات الملايين من الناس أمثالنا، خلقهم الله الذي خلقنا.. أكان أحدهم يظن أن هـــذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والعد أكذوبة وخدعة؟ أما أنا فـــلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا فلو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصـــادفان ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بُله ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث كان الأولى ألا تخلق"(٥٧).

ومن أروع ما قاله كارلايل: "ما كان محمداً أخا شهوات برغم ما اقم به ظلماً وعدواناً"(٥٨).

ومـــن هنا يمكن القول أن الاستشراق المعاصر إذا كان أكثر من التجني على محمد ﷺ، فإن كثيراً من رجاله أيضاً قد تبينوا عظمة شخصيته ودوره العظيم في تاريخ الإنسانية.

المبحث الثالث

أهداف الاستشراق وأزمته

المطلب الأول: كشف أهداف الاستشراق من تزييف صورة النبيﷺ

إن الجهود المتواصلة التي يبذلها المستشرقون من أجل تزييف صورة النبي ﷺ، ليست معبرة عن أهداف موضوعية، بل لها أهداف أيديولوجية في المقام الأول، ويمكن بيان هذه الأهداف فيما يلي:

- الهدف الثقافي

يســـعى الاستشـــراق في جانب مهم منه إلى اكتشاف سبل نشر الثقافة الغربية واللغات الأوربـــية ومحاربـــة اللغات الشرقية لا سيما اللغة العربية، ولا شك أن أفضل وسيلة لمحاربة اللغة العربـــية هـــي محاربة القرآن والرسول محمد ﷺ الذي بلغه للناس؛ فالقرآن هو الذي يحمي اللغة العربية من الاندثار، وهو الذي يزال يوحد لسان أبناء العالم العربي، وتشويه صورة النبيﷺ تضعف الإيمـــان بالقرآن ومن ثم تضعف التمسك باللغة العربية والثقافة الإسلامية، ويرمي الاستشراق من

ذلـــك إلى صبغ العالم الشرقي لا سيما الإسلامي بالطابع الثقافي المسيحي الغربي، من خلال المعاهد والمراكز التنصيرية والفكرية والعلمية في جميع بلاد العالم والإسلامي كما يسعى إلى ذلك من خلال توظـــيف بعض التلاميذ من العرب والمسلمين، ويظهر لنا ذلك عندما طلب نابليون من ممثله على مصر أن يبعث إليه بخمسمائة من المشايخ ورؤساء القبائل ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا، لكي يشـــاهدوا في أثـــنائها عظمة فرنسا ويعتادوا على تقاليدها ولغتها، ويصبحوا مناصرين لها عندما يعـــودوا إلى مصـــر. وعـــندما جاء محمد على أرسل بعثة من المصريين وعلى رأسهم رفاعة رافع الطهطاوي.

وظهـــر الهـــدف الثقافي من خلال الدعوة إلى العامية وإلى محاربة الفصحى ونشر مذهب الحداثـــة في الأدب والفكر حيث نادى البعض بتحطيم السائد والموروث وتفجير اللغة وغير ذلك من الدعوات. كما حرص الغرب على الغزو الثقافي من خلال التغريب الفكري بعدة طرق، منها التعلـــيم من حيث المنهج ومن حيث المادة العلمية، ووسائل الإعلام المتاحة وخاصة أفلام السينما والتلفاز(٥٩)، بهدف إضعاف وتشويه صورة النبي ﷺ، فهذه أسهل طريقة لفتح الطريق أمام الغزو الثقافي دون مقاومة.

ولـــيس ببعيد عنا ما نشر من صورة كاريكاتورية له عليه الصلاة والسلام في صحف الدانمارك في أواخر عام ٢٠٠٥م. ولازالت الضجة حولها قائمة إلى يومنا هذا.

- الهدف الديني:

لقـــد كـــان الهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد النبي ﷺ هو حماية أوربا من قبول الإســـلام بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية، ويتمثل الهدف الديني في تحطـــيم الإســـلام من داخله بالدس والكيد والتشوية، وتزييف صورة النبي ﷺ على مدى قرون طويلة، ووضع الافتراءات والتهم التي تشمل شخص الرسول أولاً، والرسالة التي بُعِث بها ثانياً.

ويسعى كثير من المستشرقين إلى إثبات أن النبوة مزيفة، والتشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله علـــيه وســـلم، وتجريد النبي ﷺ من صفات النبوة، وجعله موضع خوف، وكره، وازدراء في عالم الغـــرب، وذلك من خلال الاعتماد على الأحاديث الضعيفة والأخبار الموضوعية في سبيل تدعيم آرائهـــم وبناء نظرياتهم التي ترد أحاديث النبي ﷺ إلى مصادر يهودية ونصرانية بدلاً من إرجاع التشـــابه بـــين أحاديث النبي ﷺ وهاتين الديانتين إلى وحدة المصدر، وفي هذا الإطار يقوم بعضهم

بالتقلــيل مــن قــيمة الفقه الإسلامي القائم على أحاديث النبي ﷺ واعتباره مستمداً من الفقه الروماني.

كما يجتهد بعض المستشرقين إلى إثبات أن الحديث النبوي من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، ومحاربــة الســـنة بهدف إسقاطها حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإســلام ولحياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك يفقد الإسلام أكبر عناصر قوته، في حين يسعى بعض المستشرقون المهتمين المهتمين بدراسة اللغة العربية إلى النيل منها واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور، وتكريس دراسة اللهجات لتحل محل العربية الفصحى. كما نجد نفراً منهم يقومون بالتشكيك في صحة القرآن والطعن فيه، حتى ينصرف المسلمون عنه[٦٠]، ومن أجل ابتعاد النصارى عن الإسلام.

ولذلك فإن الكتابات النصرانية المبكرة كانت من النوع المتعصب، ومازالت أسباب حقد النصارى وسوء فهمهم لشخصية النبي ﷺ تؤثر في موقف الأوربيين من الإسلام.

-الهدف الاقتصادي التجاري:

يســـعى الغرب لفرض نموذجه الاقتصادي الربوي على العالم، ولما كان الرسول صلى الله علــيه وســـلم يحارب الربا، فإن الغرب يسعى لتشويه صورته، لكي يقلل من تأثير على المسلمين الرافضين للنظام الربوي، ومن ثم يضعف رفضهم، ويندمجوا في النظام الاقتصادي الغربي من خلال البنوك الربوية.

وهناك من يرى أن الهدف الاقتصادي كان هو الأساس في الاستشراق وقد استغل الدين والتنصير لتحقيق الأهداف الاقتصادية. ولم يتوقف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق فإن هذا الهدف ما زال أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية، فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، ولذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية (لويد، وبنك سويسرا) تصدر تقارير شهرية هي في ظاهرها تقاريــر اقتصادية ولكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياســة عــلى الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلام، لقد كانت المؤسسات والشركات الكــبرى، والملوك كذلك، يدفعون المال الوفير للباحثين، من أجل معرفة البلاد الإسلامية وكتابة

تقاريـــر عـــنها، وقد كان ذلك جلياً في عصر ما قبل الاستعمار الغربي للعالم الإسلامي في القرنين التاســـع والعشرين[٦١]. ولا شك أن معرفـــة العالم الإسلامي لا تكتمل إلا بمعرفة النبي ﷺ الذي يؤمن به.

-الهدف السياسي:

يمكن القول أن تشويه صورة النبي ﷺ لها بُعد سياسي في إطار الصراع بين الغرب والعالم الإســـلامي؛ مـــن أجل حشد الرأي العام الغربي ضد المسلمين في الحروب الاستعمارية والمواقف المضـــادة للعـــالم الإسلام، وهناك تقارب وتعاون بين عدة أجنحة في الغرب، كل جناح منها يخدم الآخـــر، أعـــني أجنحة الاستعمار، والتنصير، والاستشراق، فكل جناح يخدم الآخر، والجميع في النهاية يخدمون السيطرة الغربية على العالم، وهذا الصراع هو الذي يشكل جوهر الغارة التنصيرية على العالم الإسلامي[٦٢].

وكانت المواجهة مع الإسلام والصراع ضده ه السبيل لتحقيق ذلك الهدف، أي السيطرة عـــلى العـــالم، وقد اتخذ ذلك الصراع شكلين أساسيين هما الحروب العسكرية التدميرية، وحرب العقيدة والفكر التي تسعى للنيل من: الإسلام، ونبيِّه، وكتابه، ومعتقداته، وشرائعه، ونُظُمه؛ بهدف زعـــزعة عقيدة المسلم وتشكيكه في نبيه ودينه، مما يقود إلى الخروج من الإسلام وليس بالضرورة الدخول في النصرانية[٦٣].

ولذا نجد أن القوالب التقليدية عن الرسول محمد ﷺ قد انبعثت من جديد، لاسيما بعد أحـــداث ١١ ســـبتمبر، مركـــزه على وصفه بالمحارب وسائر النعوت التي تخدم السياسة الغربية الاستعمارية، كما نجد أن هذا مصاحب لتصوير الإسلام بأنه دين العنف الذي يخدم المسيح الدجال وأن المســـلمين معـــادون للعقل والعقلانية ولهذا فإنه لا فائدة ترجي ولا طائل من محاولة تنويرهم وتحويلهم نحو الإيمان الصحيح والحل الأجدى هو مجابهتهم بقوة السلاح وحده!

لقـــد كـــرس الاستشراق المناخ الاستعماري وبصورة تدريجية وفي مرحلة زمنية طويلة. ويتضـــح لديـــنا أن الاستشراق بدأ خطواته الأولى باتجاه العقل الأوربي ليحول بينه وبين اعتناق الإســـلام، فكانت الترجمات الأوربية المشوهة دائماً للقرآن الكريم وسيرة النبي ﷺ، ومن ثم بدأت الدراسات التاريخية والاجتماعية والتراثية العامة في المعاهد والجامعات والمراكز العلمية، التي أنشئت لتخريج القناصل والسفراء والكتّاب والجواسيس لتأمين مصالح بلادهم وتوفير المعلومات عن بلاد

العالم الإسلامي وإقامة مراكز لدراسة هذه المعلومات وتحليلها لتكون بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة الاستعمارية عليه وإخضاع شعوبه وإذلالها وارتهانها للثقافة الغربية.

ويمكن القول أن علم الإسلاميات في الغرب ولد مصاحباً لميلاد المشاريع الاستعمارية وتزامن مع ارتفاع الأصوات الأوروبية الداعية إلى استعادة السيطرة على الأرض المقدسة من أيدي مغتصبيها المسلمين، ويمكن تلمس أثر الدراسات الاستشراقية في الحركات الاستعمارية من خلال التأثير الذي مارسته تلك الدراسات على الحملة الفرنسية في احتلال مصر، وكيف لعب الرحالة الفرنسيون المستشرقون دوراً كبيراً في تنفيذ الحملة الفرنسية على مصر، والتخطيط لمشروعها السياسي الاستيطاني(٦٤).

بالنسبة لبريطانيا يقول إدوارد سعيد: "..شعرت بريطانيا فيما يتعلق بالإسلام والبلدان الإسلامية أنها بوصفها قوة مسيحية ذات مصالح مشروعة ينبغي المحافظة عليها وقد نما جهاز معقد لرعاية هذه المصالح الاستعمارية..".

فبعد المنظمات المبكرة مثل (جمعية نشر المعرفة المسيحية ١٦٩٧) و (جمعية نشر الإنجيل في المناطق الأجنبية ١٧٠١) تشكلت جمعيات دعمتها مثل (جمعية التبشير الإنجيلية ١٧٩٢) و(جمعية التبشير الكنيسة ١٧٩٩) و(جمعية الكتاب المقدس البريطانية والأجنبية ١٨٠٤) و(الجمعية اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود ١٨٠٨)(٦٥).

وفي تحليله لدور الاستشراق في رسم سياسات المستعمرين يقول إدوارد سعيد حول الحملة الفرنسية على مصر: "إن فكرة فتح مصر من جديد كأنه –أي نابليون– اسكندر جديد، قد طرحت نفسها عليه، مدعّمه الآن بالفائدة الإضافية المتمثلة في اكتساب مستعمرة إسلامية جديدة على حساب إنكلترا.. وأيضاً اعتبر نابليون مصر مشروعاً ممكناً بالضبط لأنه عرف مصر تكتيكياً واستراتيجياً وتاريخياً وكذلك نصيا، وما يقصد بـ(نصّياً) هنا هو كون مصر شيئاً قرأ المرء عنه وخبره عبر كتابات ثقاة أوربيين محدثين وكلاسيكيين..

وموضع الدلالة في هذا كله هو أن مصر بالنسبة لنابليون كانت مشروعاً اكتسب وجوداً حقيقياً في ذهنه ثم في تجهيزاته لفتحها، من خلال تجارب تنتمي إلى مملكة الأفكار والأساطير المستنبطة من النصوص لا من الواقع التجريبي.. ولذلك صارت الخطط التي وضعها لمصر الأولى في

سلسلة طويلة من المواجهات الأوربية مع الشرق سخّرت فيها المستشرق الخابرة لأغراض استعمارية بصورة مباشرة، ذلك أنه في اللحظة الحاسمة التي كان فيها على المستشرق أن يقرر ما إذا كان ولاؤه وتعاطفه مع الشرق أو مع الغرب الفاتح، اختار المستشرق الغرب دائماً، منذ زمن نابليون وحتى اللحظة الحاضرة.. لقد أدرك نابليون من خلال قراءاته الاستشراقية أن ثمة ثلاثة حواجز في وجه السيطرة الفرنسية على الشرق وإن أية قوة فرنسية لابد أن تخوض لذلك ثلاثة حروب: الأولى ضد إنكلترا، والثانية ضد الباب العالي العثماني، والثالثة وهي أكثرها صعوبة ضد المسلمين(٦٦).

وحين أصبح واضحاً لنابليون أن القوة التي يقودها لم تكن كبيرة بحيث تستطيع أن تفرض نفسها على المصريين حاول أن يجعل الأئمة والقضاة ورجال الإفتاء والعلماء يؤولون القرآن بما يخدم مصلحة الجيش العظيم.. وفيما بعد أعطى نابليون كليبر تعليمات مشددة بأن يدير أمور مصر بعد أن يغادرها هو من خلال المستشرقين والقادة الدينيين المسلمين الذين كان باستطاعتهم أن يستميلوهم إلى جانبهم، فأية سياسة أخرى كانت حمقاء وباهظة التكاليف(٦٧). لذلك لم يقتصر الاستشراق على مخاطبة العقل الأوربي كما لم تقتصر كتابات المستشرقين ودراساتهم على حماية الأوربي من اعتناق الدين الإسلامي، وإن كان ذلك هو الهدف الأول، وإنما تجاوزت إلى محاولة إلغاء النسق الفكري الإسلامي ومحاولة تشكيل العقل المسلم لممارسة هذا الدور والتقدم باتجاه الجامعات والمعاهد ومراكز الدراسات والإعلام والتربية في العالم الإسلامي، لجعل الفكر الغربي هو المنهج والمرجع والمصدر والكتاب والمدرس في كثير من الأحيان(٦٨)

وهذا تعزز القناعة بان الأفكار والمؤسسات والشخصيات المنتمية لأواخر القرن الثامن عشر وللقرن التاسع عشر –والمستشرقون في طليعتهم باعتبارهم السلطة المرجعية المركزية للشرق– جزء هام وإحكام حاسم للمرحلة الأولى من أعظم عصر للسيطرة الجغرافية عرفه التاريخ، فمع نهاية الحرب العالمية الأولى كانت أوربا قد استعمرت ٨٥٪ من سطح الأرض.

إن ما قام به المستشرقون وما قامت به حملات التبشير هو تحقيق لمصالح وتطلعات الرأسمالية الأوربية، والذي قام أساساً على مبدأ الإخضاع الروحي للشعوب المستعمرة لمستعمريها مع مراعاة مبدأ تخليد هذه الشعوب في مضمار التخلف.. وهكذا يمكن تلخيص الهدف السياسي في

إضعاف روح الإخاء بين المسلمين والعمل على فرقتهم لإحكام السيطرة عليهم. والعناية باللهجات العامية ودراسة العادات السائدة لتمزيق وحدة المجتمعات المسلمة.

وكانوا يوجهون موظفيهم في هذه المستعمرات إلى تعلم لغات تلك البلاد ودراسة آدابها ودينها ليعرفوا كيف يسوسونها ويحكمونها. وكان المستشرقون في كثير من الأحيان ملحقين بأجهزة الاستخبارات لسبر غور حالة المسلمين وتقديم النصائح لما ينبغي أن يفعلوه لمقاومة حركات البعث الإسلامي وتدعيم حركة الاستعمار(٦٩). ولذا فليس من التجني القول بأن قطاعاً كبيراً من المستشرقون والإرساليات المسيحية قد شاركت بصورة صريحة في التوسع الأوربي(٧٠).

المطلب الثاني: رؤية نقدية للاستشراق وأزمته

إنه نتيجة للمغالطات التي وقع فيها المستشرقون في دراساتهم المختلفة عن النبيﷺ والإسلام والحضارة الإسلامية، قام نفر من الباحثين –رغم أن بعضهم مسيحيون– ببيان أزمة الاستشراق، ففي عام ١٩٦٣م نشر أنور عبد الملك مقالة بعنوان "الاستشراق في أزمة" أحدثت ضجة واسعة في صفوف علماء الاستشراق الغربيين حتى أنها أخرجت بعض العلماء عن صمتهم الذي اعتادوا عليه فنشروا ردوداً على هذه المقالة التي تصف الاستشراق أنه في أزمة أخلاقية بسبب صلة هذا العام بالحملات الاستعمارية التي قام بها الغرب في دول الشرق.

ثم نشر إدوارد سعيد كتابه الشهير "الاستشراق" عام ١٩٧٨. ومنذ ذلك الوقت تستعر المجابهة بين الدارسين والعلماء الشرقيين من جهة وبين علماء الاستشراق من جهة أخرى.

ويعتبر إدوارد سعيد أحد الذين أثاروا الجدل على كلا الجهتين في كل مسألة تطرق إليها، فهو مع القضية الفلسطينية وهو ابن القدس ولكنه ضد المشروع الذي أدخلها في نفق النفاق الدولي، وهو كان يعيش في أمريكا ويعلم فيها ويحمل هويتها، ولكنه يثير كل الشكوك المتوقعة وغير المتوقعة ضدها، وهو مع الحادثة ولكنه لا يتخلى عن التراث، وهو مع النظرة الموضوعية في كتابات الغربيين ولكنه ليس إلى جانب فعل الاستشراق بما يعنيه الاستشراق في عالم الأهداف الغربية التي يصعب فصل السياسي فيها عن الاقتصادي عن الفكري. وقد أثار في كتاب "الاستشراق" ضجة كبرى في أوساط المستشرقين بما فيهم المعتدلين المحسوبين على خط التقارب مع الإسلام، فهم يحملونه مسؤولية الريبة والتشكيك التي تواجههم وتواجه أعمالهم في تحقيق التراث والكتابة عن الشرق عند جميع المشارقة.

ويؤكد إدوارد بكل وضوح أن الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، وامتلاك السيادة فيه، وأن الاستشراق قد احتل مركزاً هو من السيادة بحيث إنه -أي إدوارد سعيد- يؤمن بأنـــه ليس في وسع إنسان يكتب عن الشرق أو يفكر فيه، أو يمارس فعلاً متعلقاً به أن يقوم بذلك دون أن يأخذ بعين الاعتبار الحدود المعوقة التي فرضها الاستشراق على الفكر والفعل، وبكلمات أخرى فإن الشرق، بسبب الاستشراق، لم يكن (وليس) موضوعاً حراً للفكر أو الفعل.

وبيـــنما كانت ردود المستشرقين على مقالة أنور عبد الملك متعالية ويجري فيها التساؤل عـــن الـــبديل الشرقي للدراسات الاستشراقية وإن العلماء العرب والمسلمين لا يمتلكون المنهجية العلمـــية اللازمة لدراسة تاريخهم ومجتمعاتهم (كما هو عليه الغرب كما يقولون) فقد تحولوا (أي علماء الاستشراق) إلى موقف الدفاع عن علمهم بعد كتاب إدوارد سعيد.

ويعتبر "مكسيم رودنسون" واحداً من أهم المستشرقين الغربيين وله بحث بعنوان "وضع الاستشـــراق المخـــتص بالإسلاميات: مكتسباته ومشاكله"[٧١]. وفيه يرى "رودنسون أن الهدف العـــلمي كـــان الدافع الأساسي في هذه العملية، ولكنه يعترف، وهنا يلقى بما ذهب إليه إدوارد ســـعيد، بأن الأمر لم يكن يخلو من نزعة عنصرية أوربية تجاه الشعوب المدروسة وبالتالي من نزعة مركزية أوربية.

وفي هـــذا البحـــث نـــرى "رودنســـون" يعدد الجهود الكبيرة التي قام بها المستشرقون الكلاسيكيون حتى تمكن علم الاستشراق من الوصول إلى ما هو عليه الآن.

فبينما كان علم التاريخ الأوربي يكتفي بدراسة الحضارتين الإغريقية والرومانية جاء عصر التنوير ليضم إلى هاتين الحضارتين كلاً من الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الصينية؛ ليوسع من أفـــق دراســـاته الإنســـانية، بعد أن كان هذا العلم يحتقر الشعوب الأخرى غير الأوربية، كبداية لتأســـيس علم الاستشراق لقد قام الأوربيون بعمل كبير وجبار، حسب رودونسون، في اكتشاف ودراسة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية فأرسل العلماء الذين كانوا في معظمهم آنذاك من العلماء اللغويين فجمعوا المخطوطات العربية ثم قاموا بتصنيفها وفهرستها وترجمتها وإزالة الغبار عنها، أي أن المستشرقين الأوائل قاموا بعملية جمع كم هائل من المعلومات وتبويبها ومن ثم الانتقال ابتداءً من القرن التاسع عشر إلى دراسة هذه المعلومات والوصول إلى مرحلة التنظير.

نحن نعترف بقيمة الجهد الكبير الذي قام به المستشرقون في دراسة تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وكما يقول "رودنسون" فإن الهدف العلمي كان الدافع الأساس في هذه العملية، ولكنه يعترف –كما رأينا سابقاً– بأن الأمر لم يكن يخلو من نزعة عنصرية أوربية تجاه الشعوب المدروسة وبالتالي من نزعة مركزية أوربية، ولكن الأهم في الأمر هو اعتراف "رودنسون" وغيره بأن الدول الأوربيـــة وحكوماتها لم تكتف بالدافع العلمي للمعلومات التي جمعها علماؤها عن بلاد الشرق بل أنهـــا اســـتفادت مـــنها لغزو هذه البلاد واستعمارها. لقد وجدت الدول الأوربية في المعلومات والدراسات اللغوية والأنثروبولوجية والفقهية والفلسفية والأدبية وغيرها وبالتاريخ الوقائعي لبلاد الشرق مساعداً قوياً لها في بسط هيمنتها على هذه البلاد ونهب خيراتها طوال أكثر من قرن.

إنهم في أزمة أخلاقية بسبب طرف كثير منهم وعدم موضوعيتهم، وإذا عدنا إلى الوراء في تقصّـــي أســـباب هذا التطرف في النظرة إلى العرب والمسلمين وهذا التعصب الذي ساد كتابات المستشرقين يعود إلى الفترة التي ظهرت بها الدراسات الجغرافية الوصفية لعرب شبه الجزيرة العربية والذيـــن نظـــر إليهم أنهم العرب فقط.. الذي يقوم عماد حياتهم على النهب واللصوصية.. وبعد دخـــول العرب المسلمين إلى أسبانيا لفت ذلك أنظار الأوربيين بشكل واسع تجاه الدين الإسلامي ونظـــر إلى ظهورهم على الأراضي الأوربية بوصفه كارثة مماثلة للغزو التتري لمراكز الثقافة العالمية آنذاك.

فاختلط عامل الخوف من المنافس القوي مع عامل حب الاطلاع على نمط حياة المسلمين ومعـــارفهم العقلـــية. وبـــتلك البدايات دخل العالم الإسلامي في دائرة اهتمام الأوربيين الثقافية والمصلحية.

وكان موقف اللاهوت المسيحي في القرون الوسطى قد حددته محطتان رئيسيتان:–

أولاهما: ضرورة التعلم من العالم الإسلامي بكونه الأقوى والأعلم من جهة.

ثانيهما: التصارع معه كعقيدة غريبة ومعادية من جهة أخرى..

ومـــن هنا تشكلت في الوعي المسيحي القوالب النمطية الذهنية عن الإسلام ونبيه ﷺ، وهي التي نشأت في كثير من جوانبها بارتباط مسبق وارتهان شرطي بنوع وطبيعة الموقف التقليدي للكنيســـة مـــن الـــنبي ﷺ والإســـلام.. كما يقول اليكسي جوارفسكي في كتابـــــه "الإسلام والمسيحية"[٧٢].

تلك الصورة للإسلام هي مزيج متناقض لمعارف موضوعية مع تشويهات خطيرة ضمت في الوقــت ذاته تصورات في منتهى الخيالية والتوهم حيث هيمنت بشكل ثابت راسخ لمدة تاريخية طويلة على عقل الإنسان الأوربي ومنطقة ومداركه تجاه الإسلام وحضارته..

وكانــت اللوحــة الــتي تكونت في وعي الأوربيين في القرون الوسطى قد ضمت هذه الملامح: أن الإسلام عقيدة ابتدعها محمد ﷺ، وهي تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، أنها ديــن الجبر، والاضمحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذات والشهوات الحسية، إنها ديانة العنف والقسوة.

ومــن الملاحــظ في كل هذا قيام المستشرقين بدراسات متعددة عن النبي ﷺ والإسلام واللغة العربية والمجتمعات المسلمة، وأنهم وظفوا خلفياتهم الثقافية وتدريبهم البحثي لدراسة الحضارة الإســلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أغراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية، وقد اهتم عدد مــن المستشرقين اهتماماً حقيقياً بالحضارة الإسلامية وحاول أن يتعامل معها بموضوعية. وقد نجح عدد قليل منهم في هذا المجال، ولكن حتى هؤلاء الذين حاولوا أن ينصفوا الإسلام وكتابه ورسوله صــلى الله عليه وسلم، لم يستطيعوا أن ينفكوا من تأثير ثقافاتهم وعقائدهم فصدر منهم ما لا يقبله المسلم، وهذا يعني أن أي تصنيف للمستشرقين إلى منصفين ومتعصبين هو أمر تختلف حوله الآراء. فقــد يصدر ممن عرف عن الاعتدال قولاً أو رأياً مرفوضاً، وقد يحصل العكس فتكون بعض آراء المتعصبين إنصافا جميلاً للإسلام(٧٣).

خاتمة

لقد أثر الاستشراق تأثيراً ملحوظاً على العالم الإسلامي، نتيجة الجهود التي قام بها خلال عدة قرون لتزييف صورة النبي ﷺ ونتيجة اختلاف موازين القوى بين الغرب والشرق في العصور الحديــثة، وقد طالت هذه الآثار المجالات الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية ومن أهم الآثار الــتي أحدثهــا الآثار العلمية التي أضعفت الارتباط بشخص النبيﷺ، فقد كان للعالم الإسلامي مصــادره المعرفــية، ومناهجه العلمية في مختلف المجالات مثل: الجغرافيا، والتاريخ، وعلم النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم الإنسان، وعلوم اللغة والقانون.

وكـــان القـــرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة من أهم هذه المصادر. لكن نتـــيجة الاستشراق بكل أنواعه، ونتيجة للتشويه المستمر لصورة النبي ﷺ ومعاني القرآن، ضعف ارتباط كثير من المسلمين بهما، وصارت العلوم الغربية هي المرجعية الأساسية.

والأدهى من ذلك أن العلوم الغربية دخلت في طرق ومناهج بعض العلماء والمفكرين في تعامـــلهم مـــع القرآن والسنة والعلوم الشرعية مثل الفقه وأصوله والتفسير وعلوم اللغة، وأخذ كثيرون منهم بالنظريات الغربية في علم الاجتماع، وفي التاريخ، وفي علم النفس، وفي علم الإنسان وغير ذلك من العلوم.

وجاء كل هذا نتيجة للمدارس الغربية التي غزت العالم الإسلامي، وأثرت في أبناء الأمة الإسلامية الذين تعلموا فيها، علاوة على الجامعات الأوربية والأمريكية التي صار لها فروع في العالم الإسلامي.

فضلا عن وسائل الإعلام بكل أنواعها من صحافة ومجلات ونشر وتلفاز وإذاعة مسارح وسينما وغير ذلك.

وكان الاستشراق أثره الكبير في الدراسات الأدبية بكل أنواعها من قصة وشعراً ونثراً. لاسيما مع العلمانيين والذين يؤمنون بالحداثة الغربية وعلومها والذين تأثروا بالنظريات الغربية في النقد الأدبي ودراسة اللغة وفي الأدب.

وقـــد انعكـــس هـــذا كله على وجدان هؤلاء وعقولهم، واختلفت صورة النبي ﷺ في رؤوسهم، لاسيما نتيجة اتصالهم بالاستشراق المعاصر.

ولذا من الواجب أن ينهض المسلمون قولاً وعملاً وإنتاجاً، لبيان عظمة النبي ﷺ وكيف أهـــم يؤمـــنون به، ويفعلون الخير طبقاً لتعاليمه، وينشرون المعروف ويأمرون به لأن النبي ﷺ هو الذي وجههم لهذا، وعلى علماء الأمة أن ينهضوا للرد على كل هذه الشبهات، وينشروا أبحاثهم بكـــل اللغات، ويبينوا أن النبي ﷺ لم يكن إلا رسول خير ورحمة للعالمين، وأنه الخاتم والأعظم بين رسل الله تعالى.

المراجع

- إبراهـــيم الجبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، الرياض، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. ١٤٠٤هـــ.
- إبراهيم اللبان، المستشرقون والإسلام، ملحق بمجلة الأزهر،صفر، ١٣٩٠هـــ، أبريل ١٩٧٠م.
- د.أحمـــد أبو زيد، السيرة النبوية، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايـــدن بهولـــندا، سلسلة تصحيح ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص٣٥،المنتدى الإسلامي،لندن١٤١١هـــ.
- إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء. ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الرابعة ١٩٩٥م.
- تهامي نقرة، القرآن والمستشرقين، بحث في "مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية" ج١، مكتب التربية العربي لدول الخليج.
- توماس كارلايل، الأبطال، ترجمة محمد السباعي،القاهرة، دار الهلال، ١٩٨٧م.
- جوارفسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة د.خلف محمد الجراد، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٦م.
- جورج كروتكوف، قاموس لانجنشايت، برلين، دار لانجنشايت، ١٩٧٦م.
- جوســـتاف لوبـــون، حضارة العرب، بترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية. القاهرة، ١٩٦٩م.
- جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، بيروت، ١٣٩٩هـــ.
- جولد تسهر، مذاهب التفسير الإسلامي، بترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥٥م.
- جولـــد زيهـــر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف وآخرين، بيروت، دار الرائد العربي، بدون تاريخ.
- جوينبول، مادة الحديث، الموسوعة الإسلامية، ج٧.
- رودي بـــارت، الدراســـات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، ترجمة د. مصطفى ماهر، القاهرة، ١٩٦٧م.
- روم لاندو، الإسلام والعرب، بترجمة منير البعلبكي،بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٧م.

- د.ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م.
- سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين، موقف المستشرق "سيدو" من السيرة النبوية: دراسة نقدية من خلال كتابه "تاريخ العرب العام"، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية دار الدعوة بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.
- د.السيد الشاهد، مجلة الاجتهاد، العدد (٢٢)، السنة السادسة، شتاء ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- شاخت، مادة أصول، الموسوعة الإسلامية، ج٢.
- عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- د.عبد الراضي عبد المحسن، الغارة على القرآن، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠١م.
- عبد الرحمن الميداني،أجنحة المكر الثلاثة، دمشق، دار العلم،ط٥، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- د.عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٨٤م.
- عبد المتعال محمد الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، مكتبة وهبة، ١٩٨٨م.
- د.على شريعتي، الإنسان والإسلام ومدارس الغرب، ترجمة عباس ترجمان، طهران، دار الصحف للنشر، ١٤١هـ، الطبعة الأولى.
- عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، سنة ١٩٩١م.
- فريد مصطفى سليمان، محمد عزة دروزة، وتفسير القرآن الكريم، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- د.كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- كولين، قاموس هاراب، القاهرة، دار إلياس، ١٩٩٠م.
- د.مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق، كلية الدعوة بالمدينة المنورة -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.

- ــــــــــــــــــــــــ، قضايا الاستشراق، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.
- د.مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
- متري إلياس، قاموس إلياس، القاهرة، دار إلياس، ١٩٨٤م.
- مجلة الإسلام اليوم، تصدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، عدد (١٤)، مراجعة مادة (محمد) في الموسوعة الإسلامية.
- محمد أحمد دياب، أضواء على الاستشراق والمستشرقين، القاهرة، دار المنان للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- د.محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، القاهرة، مكتبة وهبه، ١٩٦٤م.
- محمد روحي فيصل، إلى الأستاذ محمد كرد على: أغراض المستشرقين، الرسالة، العدد (١١١)، السنة الثالثة، ١٩٣٥م.
- د.محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، الكويت، دار القلم، ١٩٧٤م.
- د.محمد عثمان الخشت، الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان،القاهرة، دار قباء، ١٩٩٧م.
- محمد قطب، شبهات حول الإسلام، القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٣هـ، الطبعة السادسة عشر.
- محمد قطب، المستشرقون والإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٩م.
- د.محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، قطر، كتاب الأمة، العدد (٥)، ١٤٠٤هـ.
- مصطفى الحاج مالك بوكاري، الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة، رسالة ماجستير بإشراف د.أكرم ضياء العمري، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية الدعوة وأصول الدين، عام ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- مصطفى السباعي،الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم،الطبعة الثالثة، بيروت،١٩٨٥م.

- مصطفى عمر حلبي، الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين في دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، رسالة البحث المكمل للماجستير قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٩هـ.
- مكسيم رودنسون، جاذبية الإسلام، ترجمة إلياس مرقص، بيروت، دار التنوير، ١٩٨٢م.
- منير البعلبكي، المورد، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٦م.
- موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، القاهرة،دار المعارف،١٩٧٩م.
- مونتجمري وات، محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصريةن بيروت.
- محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.
- د.هشام جعيط. أوربا والإسلام، ترجمة د.طلال عتريس، بيروت، دار الحقيقة، ١٩٨٠م.

الهوامش

١) آل عمران (١٠٢).

٢) النساء (١).

٣) الأحزاب (٧٠، ٧١).

٤) رواه أحمد (١/٣٩٢)، والترمزي في النكاح(٣/٤٠٤).

٥) د.كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٠م. ص٣٣.

٦) إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء. ترجمة: كمال أبو ديب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الرابعة ١٩٩٥م، ص٨٠ وما بعدها.

٧) المرجع السابق، ص٨١ وما بعدها.

٨) رودي بارت، الدراسات الإسلامية والعربية في الجامعات الألمانية، ترجمة د.مصطفى ماهر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١١.

٩) انظر: الاستشراق، إعداد د.مازن بن صلاح مطبقاني، كلية الدعوة بالمدينة المنورة -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.

١٠) د.جورج كروتكوف،قاموس لانجنشايت،برلين، دار لانجنشايت،١٩٧٦م، ص٢٥٠- ٢٥١

١١) متري إلياس، قاموس إلياس، القاهرة، دار إلياس، ١٩٨٤م، ص٣٥٢.

١٢) كولين، قاموس هاراب، القاهرة، دار إلياس، ١٩٩٠م، ص٣٨١.

١٣) د.جورج كروتكوف، قاموس لانجنشايت، برلين، دار لانجنشايت، ١٩٧٦م، ص٢٣٥.

١٤) د.مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق، إعداد كلية الدعوة بالمدينة المنورة -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.

١٥) د.محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، قطر، كتاب الأمة، العدد (٥)، ١٤٠٤هـ، ص٧٨.

١٦) د.أحمد أبو زيد، السيرة النبوية، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولندا، سلسلة تصحيح ما ينشر عن الإسلام والمسلمين من معلومات خاطئة، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ص١٤ وما بعدها.

١٧) عثمان أمين، محاولات فلسفية، الأنجلو، ١٩٥٦م. ص٨٩- ٨١.

١٨) د.مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٦٩٥.

١٩) د.محمد عثمان الخشت، الإسلام والعلم بين الأفغاني ورينان، القاهرة، دار قباء، ١٩٩٧م، ص٩-١٠.

٢٠) د.مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٦٧٨.

٢١) انظر: الاستشراق، إعداد د.مازن بن صلاح مطبقاني، كلية الدعوة بالمدينة المنورة -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.

٢٢) د.مـانع الجهـني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٦٨٨-٦٨٩.

٢٣) انظر: د.محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٣٨ وما بعدها. د.مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق، إعداد كلية الدعوة بالمدينة المنورة -جامعة الإمام محمـد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.

٢٤) د.السيد الشاهد، مجلة الاجتهاد، العدد (٢٢)، السنة السادسة،شتاء١٤١هـ- ١٩٩٣م، ص٢١١- ١٩١.

٢٥) الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة محب الدين الخطيب، ص٣٣، ٧٢.

٢٦) محمد قطب، المستشرقون والإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٩م، ص٤٩.

٢٧) انظـر: قضايا الاستشراق، إعداد د.مازن بن صلاح مطبقاني، كلية الدعوة بالمدينة المنورة - جامعـة الإمـام محمـد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.

٢٨) عمـر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، سنة ١٩٩١م، ص٤٩ وما بعدها.

29) Norman, Daniel, Islam and West, P. 47.

عن المصدر السابق، ص٤٩

٢٩) عن المصدر السابق، ص٥٢.

٣٠) د.محمـود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص٨٣- ٨٥. والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. ج٢، ص٦٩٤.

٣١) عمـر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، مالطا، مركز دراسات العالم الإسلامي، ط١، سنة ١٩٩١م، ص٦٠.

٣٢) انظر: سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين، موقف المستشرق "سيدو" من السيرة النبوية: دراسـة نقديـة مـن خلال كتابه "تاريخ العرب العام"، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية دار الدعوة بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

٣٣) عبد المتعال محمد الجبري، السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، مكتبة وهبة، ١٩٨٨م، ص١٠٧.

٣٤) محمد أحمد دياب، أضواء على الاستشراق والمستشرقين، القاهرة، دار المنان للنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص١٧٦- ١٧٧. سلطان بن عمر بن عبد العزيز الحصين، موقف المستشرق "سيدو" من السيرة النبوية: دراسة نقدية من خلال كتابه "تاريخ العرب العام"، ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية دار الدعوة بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

٣٥) مصطفى عمر حلبي، الخلفية الثقافية لاتجاهات المستشرقين في دراسة شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، رسالة البحث المكمل للماجستير قسم الاستشراق، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٩هـ، ص٣٦-٣٨.

٣٦) أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص٣٥، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ، ص١١٢.

٣٧) جولد تسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف وآخرين، بيروت، دار الرائد العربي، بدون تاريخ.ص١٥. وانظر أيضاً كتابه : مذاهب التفسير الإسلامي، بترجمة عبد الحليم النجار، القاهرة ١٩٥٥م. ص٧٥.

٣٨) جولد تسهر، العقيدة والشريعة، ص٢٥.

٣٩) جولد تسهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف وآخرون، القاهرة، ١٩٤٨ .ص١٢.

٤٠) صدرت هذه الكتب في منتصف القرن العشرين في أربع مجلدات طبعتها مطبعة حريصا البولسية في لبنان بعنوان "دروس قرآنية"، مع عنوان خاص لكل كتاب، على النحو التالي:-

١-الإنجيل والقرآن.

٢- القرآن والكتاب.

٣-القرآن والكتاب وهو تكملة للجزء الثاني.

٤-نظم القرآن والكتاب.

وقد تصدى له الشيخ محمد عزة دروزه في رد تفصيلي في كتابه "القرآن والمبشرون" الصادر عن المكتب الإسلامي بدمشق، في مؤلف عده الدكتور فريد مصطفى من أفضل ما كتب الشيخ دروزه، راجع:

فـريد مصـطفى سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤هـ-١٩٩٣م. ص٤٢٤. انظر: د.عبد الراضي عبد المحسن، الغارة على القرآن، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠١م، ص٥٥.

٤١) الحداد، القرآن والكتاب، ٢/١٠٦٠.

٤٢) مونـتجمري وات، محمـد في المديـنة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت. ص٢٨٥.

٤٣) ترجمة عادل زعيتر.

٤٤) د.ساسـي سـالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م، ج١، ص٤٠٥ وما بعدها.

٤٥) جولـد زيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف وآخرين، بيروت، دار الرائد العربي، بدون تاريخ. ص٤٣.

٤٦) شاخت، مادة أصول، الموسوعة الإسلامية، ج٢، ص٢٧٩.

٤٧) جوينبول، مادة الحديث، الموسوعة الإسلامية، ج٧، ص٣٣٥-٣٣٧.

٤٨) انظر: د.ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، بيروت،دار المدار الإسلامي،٢٠٠٢م، ج١، ص٥٢٥- ٥٢٦.

٤٩) المرجع السابق، ج١، ص٥٢٨- ٥٢٩.

٥٠) مونتجمري وات، محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ. ص٢١.

٥١) جوسـتاف لوبون، حضارة العرب، بترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية. القاهرة، ١٩٦٩م. ص١٤١ وما بعدها.

٥٢) جولـد زيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف وآخرين، بيروت، دار الرائد العربي، بدون تاريخ. ص٦- ٧.

٥٣) د.ساسـي سـالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م، ج١، ص٣١٨ وما بعدها.

٥٤) المرجع السابق.

٥٥) تمامي نقرة، القرآن والمستشرقين، بحث في "مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية" ج١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص٤٣.

٥٦) توماس كارلايل، الأبطال، ترجمة محمد السباعي، القاهرة، دار الهلال، ١٩٨٧م، ص٥٨- ٥٩.

٥٧) المرجع السابق، ص٩١.

٥٨) انظر: الاستشراق، إعداد د.مازن بن صلاح مطبقاني، كلية الدعوة بالمدينة المنورة -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.

٥٩) د.مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤٠٩هـ، ج٢، ص٦٩١.

٦٠) انظر: الاستشراق، إعداد د.مازن بن صلاح مطبقاني، كلية الدعوة بالمدينة المنورة -جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، راجع موقع مركز المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق على شبكة الإنترنت.

٦١) ربما يكون الأستاذ عبد الرحمن الميداني قد تنبه إلى الطبيعة الشمولية لعداء أهل الكتاب للإسلام، ذلك العداء المتمثل في الصراع ضد الإسلام بما أسماه: أجنحة المكر الثلاثة: الاستعمار- التنصير- الاستشراق.

راجع كتابه: "أجنحة المكر الثلاثة"، دار العلم، دمشق ط٥، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م. انظر: د.عبد الراضي عبد المحسن، الغارة على القرآن، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠١م. ص١٨.

٦٢) انظر: مصطفى الخالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص٤٦، إبراهيم الجبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٤هـ، ص٢٧.

٦٣) جوارفسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة د.خلف محمد الجراد، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٦م. ص١٠٤-١٠٥.

٦٤) إدوارد سعيد، الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص١٢٤.

٦٥) المرجع السابق، ص١٠٨.

٦٦) المرجع السابق، ص١٠٩.

٦٧) المرجع السابق، ص١٠٦- ١٠٧.

٦٨) د.مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ج٢، ص٦٩٢.

٦٩) إدوارد سعيد. الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء، ص١٢٤.

٧٠) قام بترجمته هاشم صالح ونشره في كتابه "الاستشراق بين دعاته ومعارضيه".

٧١) جوارفسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة د.خلف محمد الجراد، الكويت، عالم المعرفة، ١٩٩٦م، ص٩٢.

٧٢) د.مانع الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ج٢، ص٦٨٨- ٦٨٩.